

محمد علي قدس

سادن الحكاية وحارس التفاصيل

بأقلام نخبة من المثقفين

إعداد وتحريـر

عبدالرحمن بن رجاء الله السلمي

رئيس اللجنة العلمية لملتقى قراءة النص

1447 هـ / 2026 م

من إصدارات

281

النادي الأدبي الثقافي بجدة

المملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفهرس

- 5 الفهرس ■
- 7 السيرة الذاتية للأستاذ/ محمد علي قدس ■
- 9 مقدمة عبد الله بن عويقل السلمي ■
محمد علي قدس.. سادن أدبي جدة وفارس الريادة الشخصية
- 11 معالي الدكتور عبدالعزيز خوجة ■
محمد علي قدس.. الوفاء كله
- 13 عبد المحسن فراج القحطاني ■
محمد علي قدس شاهد الحراك الثقافي في نادي جدة الأدبي
- 25 محمد عبدالرزاق القشعمي ■
محمد علي قدس.. كان الأمين فأين السر؟!
- 31 إبراهيم بن عبدالرحمن التركي ■
صديق من الجيل الذهبي
- 33 محمد الشقحاء ■
محمد علي قدس تجاربه في الشأن الثقافي وفي الأدب والإعلام
- 35 عبد الله بن عبدالرحمن الحيدري ■
صديقي وأخي الغالي الأستاذ/ محمد علي قدس
- 43 خالد أحمد اليوسف ■
محمد علي قدس وتحولات الحساسية السردية في القصة السعودية
- 47 محمد بن ربيع ■
ما جاء في خبر محمد علي قدس
- 65 فاطمة إلياس ■
محمد علي قدس أمين سر.. وكاشف مرحلة
- 69 يوسف حسن العارف ■
-

- 79 صالح الخزمري ■ ■ قدس وأدبي جدة علاقة نصف قرن
- 81 عبدالله التعزي ■ محمد علي قدس جسرٌ بين جبلين
- 89 منصور بن عبد العزيز الحجيلي ■ ملتقى النص وتكريم الرموز
- 93 نبيل زارع ■ قدس.... كما عرفته!
- 95 بخيت طالع الزهراني ■ قدس.. الأديب الذي أنصت للمواهب فأسمعها الوطن
- 99 خير الله زربان ■ قدس... مرجع لتاريخ نادي جدة الأدبي
- 103 سلطان العيسى ■ محمد علي قدس.. الذاكرة الحية للمشهد الأدبي
- 107 مصلح بن بركات المالكي ■ سلطان العيسى
- 109 مشعل الحارثي ■ محمد علي قدس.. سادن الحكاية وضمير السرد السعودي
- 115 سونيا أحمد المالكي ■ مصلح بن بركات المالكي
- 122 عبد العزيز الصقعي ■ محمد علي قدس صوت المكان وشاهد البدايات
- 125 كفى عسيري ■ مشعل الحارثي
- 127 أزداد محمد علي قدس ■ قدس.. رائد من رواد قافلة الثقافة السعودية
- سونيا أحمد المالكي ■ موسم محمد علي قدس المقبلة
- عبد العزيز الصقعي ■ محمد علي قدس... القامة والقيمة
- كفى عسيري ■ مما تعلمته من أبي
- أزداد محمد علي قدس

السيرة الذاتية

- الاسم : محمد علي رضا قدس
- تاريخ الميلاد: 1948/9/22م
- مكان الميلاد: مكة المكرمة - حي الشامية بجوار الحرم المكي،
- المؤهلات:
- ليسانس إدارة أعمال - جامعة ستانفورد تامبا فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية.
- دبلوم صحافة وإعلام - جامعة الملك عبدالعزيز بجدة.
- دورات متخصصة في العلاقات العامة والإعلام والتحرير الأدبي والمعلومات في أمديكا - السويد - اقاهدر - سنغافورة - السعودية.
- الوظيفة: إعلامي وأديب وكاتب قصة وكاتب سيناريو ودراما.
- المهام والأعمال التي كلف بها:
- مستشار ثقافي وإعلامي أمين جائزة محمد حسن عواد للإبداع.
- أمين سر النادي الأدبي الثقافي بجدة لمدة 25 سنة (1978-2003م).
- رئيس تحرير مجلة الطيران والفضاء لمدة 10 سنوات (1996-2006م).
- عضو مؤسس بنادي جدة الأدبي وعضو شرف نادي مكة الثقافي
- عضو نادي القصة بالقاهرة منذ عام 1982م.
- شارك في الأسابيع الثقافية السعودية في دول العالم (القاهرة، دمشق، البحرين، بيروت والرباط وتونس).
- اختيار من بين أدباء ومبدعي العالم للمشاركة في برنامج تجارب الكتاب المبدعين في جامعة أيوا بالولايات المتحدة عام 1995م. مثل العالم 33 أديبا وشاعرا مبدعا.
- مثل المملكة مع إعلاميها ومفكريها وعلمائها في احتفالات تحرير الكويت 1991م.
- نال دروعا وشهادات تقدير تكريمية من مؤسسات إعلامية وثقافية وفنية في الداخل والخارج.
- كرم ضمن الأدباء الذين أسهموا في تأسيس الأندية الأدبية ووضعوا بصماتهم في مسيرتها منذ تأسيسها في المملكة عام 1975م.
- كرم ضمن الأدباء والفنانين في مهرجان وملقى المبدعون العرب في دورته الرابعة في عمان تحت رعاية الملك عبدالله الثاني كرائد من رواد الأدب العربي 2009م.
- له برامج إذاعية ودرامية إذاعية وتلفزيونية لازال بعضها مستمرا منها: قصص من الأدب السعودي/ المجالس الثقافية/ في ذاكرة الوطن والمسرح العالمي. وله في أرشيف مكتبة الإذاعة والتلفزيون أكثر من أربعين عمل منتج بين درامي وثقافي ووثائقي. متعاون مع إذاعة جدة منذ عام 1975م وحتى الآن.

- ترجمت بعض قصصه للإنجليزية ضمن نماذج من القصة السعودية والخيجية:

Assassination of Light NY 1990

Voice of change Colorado 1998

Assassination of Light NY 1990

Voice of change Colorado 1998

Whispers from Heart Tales from S.A Beirut 2000

Whispers from Heart Tales from S.A Beirut 2000

● مؤلفاته في القصة والفكر والثقافة والراءات:

- ومضات في الفكر / مقالات - القاهرة 1978م.

- نقطة الضعف / قصص - بيروت 1979م.

- وحي الرسالة / مقالات - جدة 1980م.

- مواسم الشمس المقبلة / قصص - جدة 1985م.

- لنزوع إلى وطن قديظ / قصص - بيروت 1986م.

- هموم صغيرة / أقاصيص - جدة 1986م.

- لمعاصرة والكلمات / مقالات - جدة 1994م.

- حوار الأسئلة الشائكة / مقالا فلسفية - جدة 1995م.

- جاء في خبر سائم / قصص - القاهرة 1995م.

- مسيرة الأندية الأدبية / ربع قرن من العطاء الثقافي جدة 2004م.

- العواد رائد التجديد / سيرة - جدة 2006م.

- ظمأ الجذور / قصص قصيرة بيروت 2010م.

- في صحبة عبقرى حالم أيام مع العواد 2025م.

● وله تحت الطبع:

- أسماء في الذاكرة (شخصيات أدبية مؤثرة).

- ما جاء في الأحاديث خلف الكواليس (قصص وحكايات مع الأدباء).

● لمزيد من المعلومات يرجع للمصادر التالية:

1) دليل الكاتب السعودي - الجمعية السعودية للثقافة والفنون - الرياض ط1 1984م

2) معجم الأدباء والكتاب (الموسوعة الثقافية الشاملة) - الرياض ط1 1990م

3) معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية (دائرة معارف سير الثقافة) - الرياض علي

جواد الطاهر ج 3 حرف الميم 1997م.

مقدمة

في زمن تتسارع فيه الأحداث وتتلاشى فيه الذاكرة الجماعية بسرعة الضوء، يصبح الاحتفاء بالرواد والأصوات الصادقة ضرورة وجودية، لا ترفاً ثقافياً. محمد علي قدس - ابن مكة، رائد القصة السعودية الحديثة، أمين سرّ نادي جدة الأدبي لعقود، مستشار ثقافي، قاصّ يغوص في أعماق النفس الحجازية - يمثل نموذجاً نادراً للإخلاص الأدبي والثقافي في زمن قلّ فيه الإخلاص.

وجاء هذا الإصدار الآن لأنه يتزامن مع تكريم قدس، ولأننا ندرك أن الزمن لا يمرّ سريعاً فحسب، بل لأننا في عصر يغلب فيه السطحي على العميق، والصوت العالي على الهامس الصادق. محمد علي قدس لم يكن يوماً من الذين يلاحقون الشهرة أو يسابقون الضجيج؛ كان يكتب ليحفظ الإنسان في تفاصيله الصغيرة، ليوثق الذاكرة قبل أن تمحى، وليذكّرنا بأن القصة ليست تسلية، بل بحث عن الحقيقة والجمال في زحمة الوجود.

نحن اليوم - في هذا الزمن الذي يشهد تيهاً ثقافياً كما وصفه هو نفسه في بعض حواراته - نحتاج إلى استرجاع هذا الصوت الهادئ العميق، ليس تكريماً متأخراً، بل لنعيد اكتشاف قيمة الوفاء للكلمة، ولنقول للأجيال الجديدة: كان بيننا من آمن بالأدب كطريق للإنسانية، فلا نتركه يغيب في غبار النسيان.

هذا الكتاب إذن ليس مجرد تذكّار، بل هو محاولة لإعادة الاعتبار لمسيرة رجل ساهم في بناء الثقافة السعودية الحديثة، وشهادة حية على أن الإبداع الحقيقي يصمد أمام تقلبات الزمن.

ولأن أصدق ما يُكتب عن الإنسان يأتي من أولئك الذين عاشوا معه، رافقوه في أروقة النادي، شاركوه الهمَّ الثقافى، تأثروا بقصصه، أو أثر فيهم صمته أحياناً أكثر من كلماته. هؤلاء لم يكتبوا عنه من بعيد، بل من قرب عميق، من خبرة شخصية، من وفاء وامتنان.

ولهذا نخص بالشكر الجزيل والتقدير العميق كل من ساهم في هذا الكتاب بقلمه وشهادته، فأولئك الأدباء والنقاد والكتاب الذين خصّصوا وقتهم وجهدهم ليرووا ما عاشوه مع الأستاذ محمد علي قدس، لهم الفضل أن أضاءوا جوانب من شخصيته وإبداعه لم تكن معروفة للكثيرين، وهم الذين فتحوا ذاكرتهم وقلوبهم ليخرجوا ذكريات صادقة، بعضها يحمل الفرح، وبعضها الألم الجميل الذي يرافق الإبداع الحقيقي.

والشكر موصول لكل من آمن بأهمية هذا العمل ودعمه، سواء بالكتابة أو بالتشجيع أو بالمشاركة، فجعل هذا الكتاب واقعاً ملموساً، فأنتم جميعاً - يا من كتبتم أو قرأتم - لستم مجرد مساهمين؛ أنتم شهود على عصر، وحماة لتراث أدبي وثقافى يستحق أن يُروى ويُحفظ. شكراً لكم من القلب، فبدون أقلامكم الصادقة لما كان هذا الكتاب موجوداً، ولما استطعنا أن نُقدّم للقارئ صورة أقرب عن رجل أثرى المشهد الثقافى السعودى بصمته الهادئ وعطاءه المتواصل.

أما محمد علي قدس فتقدّم له هذا الإصدار هدية متواضعة، ووفاء من مؤسسة عرفها وعرفته، وما هو إلا محاولة لنقول له شكراً أن منحتنا الفرصة لتبقى حياً بيننا، وفي صفحاتنا وضمائرنا، وذاكرتنا... أدام الله حضورك في ذاكرة، نبراساً يضيء طريق السائرين على دروب الإخلاص للمؤسسات الأدبية، وبخاصة أدبي جدة.

رئيس جمعية أدبي جدة
عبدالله عويقل السلمى

محمد علي قدس .. سادن أدبي جدة وفارس الريادة القصصية

معالي الدكتور عبدالعزيز خوجه
وزير الإعلام والثقافة سابقاً

تزدان ملامح البهجة اليوم ونحن نرى الوفاء يتجسّد في تكريم القائمة الأدبية الباسقة، الأستاذ محمد علي قدس، فارساً ملتقى «قراءة النص» في دورته الثانية والعشرين، الذي تزهبه «جمعية أدبي جدة» (النادي الأدبي الثقافى سابقاً). وبحقّ، فإنّ هذا الاحتفاء هو إنصافٌ مستحقٌّ لرمز وهب ربيع عمره وسوّد فكره لخدمة الكلمة.

إنّ الأستاذ محمداً ليس مجرد سارد، بل هو رائدٌ من الرعيل الأول الذين أرسوا دعائم القصة القصيرة في مملكتنا الغالية، وصاغوا بمداد الإبداع هويتها. وكيفينا فخراً أنّه أحدُ الآباء المؤسسين لكيان «أدبي جدة»، والقلبُ النابضُ الذي لا يزال يرفدُ النادي بعطائه المتجدد ومثابرتة الدؤوبة، التي حلقتْ باسم هذا الصرح عالياً.

وعلى امتداد أفق المودة الإنسانية والوجدانية، يملؤني اعتزازٌ كبيرٌ بوشائج الصداقة المتينة التي ربطتني بهذا النبيل؛ فهو لا يقتصرُ في تفرّده على ريادته الإبداعية فحسب، بل يتجلى بشموخ أخلاقه وأدبه الجَمِّ، ليكون الأنموذج الأرقى والقُدوة المثلى التي يطمحُ إليها كلُّ مثقفٍ في بلادنا.

إنني إذْ أزفُّ أسمى آيات التهنئة للأستاذ محمد من أعماق قلبي،
أباركُ لنا وللوسط الثقافى قاطبةً هذا الإنصاف البهى لأحد رموزه
الأوفياء؛ فتكريمُ الرمز محمد علي قدس هو في جوهره تكريمٌ لمسيرة
الإبداع ، واحتفاءً بذاكرة الثقافة الحية في نفوسنا جميعاً.

محمد علي قدس .. الوفاء كله

عبدالمحسن فراج القحطاني

الأستاذ محمد علي قدس :

أعرفه منذ ما يقرب من 50 عاماً عاصرته قبل أن أدلف إلى النادي الأدبي الثقافى، وحين التحقت عضواً في النادي الأدبي الثقافى بجدة كان أول من استقبلني في النادي، إذ كان سكرتيراً له منذ رئاسة الرائد محمد حسن عواد، وعرفته حينها أنه أديبٌ متخصص في القصة القصيرة، هذا أول معرفتي به، وقرأت ما وقع في يدي منها.

الأستاذ محمد علي قدس على الجانب الإنساني والأخلاقي ذو كعب عال في ذلك، فكل هذه المدة التي تعاملت فيها معه لم أسمع كلمة نابية ولا أسلوباً يملك حشجة ولا نتوءاً، ناهيك عن ابتعاده عن العنصرية المناطقية وعنصرية التوجه العلمي وميله إلى توجهٍ دون آخر يدافع عن إيجابياته وسلبياته؛ وهذا ليس بغريب على منطقة الحجاز، فهو مكي المولد وجداوي النشأة، وحينما قدمت إلى جدة منذ خمسة وخمسين عام تعلمت منها الابتعاد عن العنصرية وعن الشللية إلى هذا المجتمع الذي حياته منظمة في مواعيده وزياراته، والأديب بطبعه وحساسيته يكون أقدر البشر على تفهم ذلك، ثم بعد فترة وأنا أتابعه وجدته يكتب كتابات في الأدب وهي إلى الدراسات النقدية أقرب منها إلى إنشاء نصٍّ جاء عفو

الخاطر ولم يتكيء على مرجعية علمية كما في الدراسات، هذه الدراسات تناولت الأدب العربي عامةً والأدب العربي السعودي خاصةً، فكانت على شقين: شخصيات أدبية - أو موضوعات أدبية ثقافية، وفي كلها لمسة وفاء لمن يكتب وما يكتب، ولمسة الوفاء تأتي إلى الإيجابية وتتعد عن السلبية لأنها ألصق باحتفائية واحتفالية، لكن الوفاء في عمقه وباطنه عاطفة صادقة ظفر به الرائد محمد حسن عواد، فألف عنه أكثر من كتاب، كتبت مقدمة أحدها بعنوان (أيام مع العواد في صحبة عبقرى حالم) وهذا الكتاب أطلعنا على موضوعات غائبة عن أذهاننا لأنها شفاهية تحولت إلى مكتوبة.

وعلاقته مع النادي هي الأطول في حياته إذ استمرت إلى الآن أكثر من 50 عاماً، منذ حين أنشئ النادي سنة 1395هـ فعاصر رؤساءه جميعاً (محمد حسن عواد - حسن قرشي - عبدالفتاح أبو مدين - كاتب هذه السطور عبد المحسن القحطاني، والدكتور عبدالله عويقل السلمي الرئيس الحالي)، فهذه الاستمرارية جعلت ما يشبه العشق عنده ويحق أن يطلق عليه عاشق النادي الأوحده، وأقترح عليه أن يكتب سيرته مع النادي فهي الأولى أن تعرفها الأجيال، أما بقية سيرته فنقرأ منها مقتطفات يكتبها هنا وهناك.

وأول مؤلفاته الأدبية هو «ومضات في الفكر والأدب» في 1398/3/28هـ، بيد أنه سبق ذلك بعض قصصه القصيرة التي كتبها في صحف سيارة، وأعجبت بالإهداء أختزله في: «إلى كل الذين صنعوا الحرف في بلادنا، إلى روادنا الأوائل الذين شادوا فكر هذه الأمة، إلى كل الذين ساهموا

وناضلوا بالحرف والكلمة في بناء نهضتنا الفكرية، ومن على السنة أقلامهم انتصبت شعارات الفخر لهذا الوطن، إلى كل من نطق حقاً ونشر فكراً وأدباً».

والوفاء سمة لصيقة له، سواء كان وفاءً للعلم بعامة وللقصة والرواية بخاصة، أو سواء كان للدراسات العلمية الأدبية والثقافية وأيضاً للمكان؛ فكلها اجتمعت تلمسها في مؤلفاته، لا سيما مؤلفه الذي تحدث فيه عن شخصيات أدبية وثقافية ورواد سواء كانوا شعراء أو كتاباً أو ناثرين على وجه العموم.

كل هذا جعله يكون لهم أخاً أو ابناً ودوداً، وهذه صفة يتصف بها الأستاذ محمد علي قدس ولا يحيد عنها أبداً قيد أنملة كما يقال؛ إذا قرأت له استرحت لما كتب، وإذا استمعت له فرحت بما يقول، والسبب في ذلك أن هذا الهدوء والسمة التي يتمتع بها وتخرج على وجهه - وكما يقال سيماهم في وجوههم - فالحمد لله أنني كسبته أخاً وصديقاً وعزيزاً منذ كما قلت سابقاً 50 عاماً أو تزيد، وظل في هذا النادي مهما اختلف الرؤساء عاملاً فاعلاً فيه. يقول الحكيم: «الطيبون لا تعرف قيمتهم من ملامحهم بل من نور أرواحهم.. ويرى جمالهم بالقلب ما تعجز عنه الحواس من نقاء وأمان ودفء، فتطمئن لهم الروح وتألّفهم وتجد في قربهم سكناً وراحة».

فالأرواح النقية تلامس أعماقنا في هدوء وتترك فينا أثراً صامتاً يشبه السلام، كنسمة خفيفة تعبر القلب فتضيئه؛ وهذه الصفات يتمتع بها محمد علي قدس مع حفظ الألقاب.

وأول كتبه «ومضات في الفكر والأدب» طبعه 1998م، وهذا الكتاب أسماه «ومضات في الفكر والأدب» وهو ليس ومضات وإنما دراسات عميقة في الفكر والأدب؛ وهذا العمق يتبين حينما ننظر إلى قراءته في المقدمة أو في أدب المرأة، حينما تحدث واستغرب أن يكون للمرأة أدب وللرجال أدب، وإنما هو أدبٌ واحدٌ يسجله النتاج سواء أكان ذكراً أو أنثى؛ فإذا أسقط التفريق ليس في الأدب، وإنما التفريق في من صنع هذا الأدب.

ثم تحدث عن أدب المرأة في الجزيرة العربية ومنافستها لغيرها من أدبيات الوطن العربي، سواء كان في مصر أو الشام (أي فلسطين بالذات والأردن)، أو كذلك في لبنان، ثم تحدث عن تونس والجزائر وغيرها؛ وهذا الحديث يجعله يورد الجيل الأول من هؤلاء الأدبيات، سواء كانت شاعرة أو نائثة أو روائية.

ثم وضع على القائمة وأولاهما هي «سميرة خاشقجي» التي كتبت روايات وأصدرت مجلة "الشرقية"، وهي تعتبر من أولى المجلات التي تهتم بهذا الأدب. ثم دلف إلى أسماء أخرى في ذلك الجيل: «ثرثيا قابل» الشاعرة حينما ألفت ديوانها «الأوزان الباكية»، وكذلك «خيرية السقاف» و«غادة الصحراء» التي كتبتها باسم مستعار (غادة الصحراء)؛ وكما قال: منعها من الإفصاح عن اسمها الحقيقي وهي أسرتها، فخافت من ذلك وظلت متخفية، وليس ذلك بغريب؛ ففي عالمنا العربي من كتب باسم مستعار، على رأسهم محمد حسنين هيكل أو هدى الشعراوي.

فإذاً هو جاء على هذا الجيل، ثم جاء على الجيل اللاحق له، وهي مثلاً: فوزية أبو خالد، رقية الشبيب، أميمة الخميس.. والكثير من الأدبيات.

كذلك حينما دلف إلى القصة، فأثبت أن القصة القصيرة ولدت في الجزيرة العربية قبل أن تكون في أوروبا، والمؤلف الذي ألف كتاباً عن القصة القصيرة في الجزيرة العربية أورد شيئاً من ذلك. وحين تناول القصة لم يكتف بالشهروني، وإنما جاء على «سهير القلماوي» في بحث ودراسة لها عميقة تحدثت عن القصة، وكما قلت: حينما كانت حدوتة أو سيرة قبل أن تتحول أو تنتقل من الشفاهية إلى الكتابة. وقف عند القصة القصيرة وقفات طويلة، وكيف لا وهو من ألف في القصة القصيرة أكثر من ستة كتب، ناهيك عن المقالات الأخرى التي يبثها هنا وهناك. ثم بعد ذلك ألحق بها المقامات، وألحق بها السير الذاتية؛ كسيرة عنتر بن شداد، أو المهلهل، أو سيف بن ذي يزن الحميري، أو غيرهم ممن حكيت سيرهم شفاهةً قبل أن تدون كتابةً. هذا الموضوع فعلاً تعمق في بحثه ووثقه توثيقاً علمياً؛ صحيح أنه لا يأتي بالصفحات ولا يذكرها، ولكنه يوثقها بالإحالة إلى صاحبها.

والأجمل عنده أنه تحدث عن الشعر حديثاً تعمق فيه، بل إن العنوان يجعلك تنهياً لقراءته وهي: «المعيبات الكلامية في الشعر». وتحدث عن الشعر وأثبت بالأبيات بعضها، ثم نَفَرَ من المُحَسِّنَات البديعية في النص الشعري، إذ يحوله من نص مبدع إلى نظم يخضع للوزن ويتمرد على الإبداع الحقيقي، وأورد لشعراء بعض معيبتهم؛ أورد بيتاً للمتنبي، وكذلك أثبت لابن الرومي جودته في البيت، ثم لأبي تمام، وللشاعر القروي؛ وهذا دليل على أنه تعمق في موضوع الشعر الذي لم يؤلف حوله كتباً، ولكنه في أول إصدار تحدثت عن الشعر.

ثم دلف إلى موقف النبي صلى الله عليه وسلم من الشعراء وكيف استقبل الشعراء منهم، بل إنه يقول لحسان: «أرْمِهِمْ بِسِهَامِكَ يَا حَسَّانُ»، فأكبرتُ فيه هذا الموقف أنه لم يدع أنه المتخصص في هذا الباب، ولكنه حسب ذوقه واستقباله للشعر جعله يقول ما قاله في هذا العنوان. وأعجبنى غوصه في تحليل الشعر وإيراد أبيات كثيرة، لا سيما وهو يتحدث عن الشعر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وموقفه منه، ومهد له قبل أن يتحدث عن الشعر بحديث عن بلاغة النبي د وحكمته ونصاعة أسلوبه وقوة حديثه وصدق كلامه.

ثم بدأ يورد شعراً يقوله الصحابة أمام النبي صلى الله عليه وسلم، فيؤيد هذا ويقترح ذلك على ما يسمعه من: أبي بكر الصديق، عمر بن الخطاب، الشعبي، وكثير من الصحابة حينما يتحدثون عن ذلك. الحقيقة أنني لم يدر بخلدي أن يكون حديثه عن الشعر أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الإمامة الكبيرة والعمق البحثي الجميل الذي تقرأه فتعرف أنك أمام ناقد لا قاصّ.

بعد أن فرغ من تأصيل القصة وأنها وجدت عند العرب قبل الغرب، وكذلك الرواية والمقامة وما ألف سابقاً حول السرد الشفهي الذي كان يقال في «الليالي الملاح» - إن صح هذا التعبير - فإنه أيضاً أكد على الثقافة ومستقبلها؛ ولذا فإنه أراد أن يضع للثقافة أيضاً عند العرب الأسبقية والقول الفصل، وأن الغرب استفاد من الحضارة التي حافظ عليها، وأراد أن ينبه لنقطة بسيطة وهي أن الأرقام التي يستعملها الغرب الآن هي أرقام عربية كتبت باللاتينية وما زالت تكتب إلى يوم الناس هذا.

هذا الكتاب حوى حول المكان والإنسان والزمان والأشخاص، فتحدث في موضوعات عن المكان، ثم جاء إلى الإنسان فتحدث عنه جمعاً وتحدث عنه مفرداً؛ تحدث عن العقاد، وعن الكندي، وعن ابن المقفع. كذلك تحدث عن موضوعات في أماكن متعددة، وعن الزمان في مواضع كثيرة.

ولذا فإن هذه العناوين التي تصادفك في هذا الكتيب الصغير في حجمه والعميق في معناه جاء ليؤطر موضوعات شتى. وقد ركز على قضية الإسلام حينما يناقش هذه الموضوعات، فهو الخيط الرفيع الذي يلمها جميعاً؛ حينما يأتي على موضوع يذهب إلى القرآن والإسلام، والحضارة أيضاً التي حملها للبشرية جمعاً وللكون كله.

ثم لم ينسَ النقد من الكتاب، فوضع نقداً أسماه «أزمة الكتاب والموقف من الثقافة»، والمطالبة بالعودة إلى الواقعية، وقضية اللامعقول في الأدب أيضاً تطرّق إليها.

وكتابه «في أروقة الثقافة» الذي صدر وقد تحدثت سابقاً عن وفائه، ولكنه أيضاً في هذا الكتاب ذكر كثيراً من الشخصيات التي أثرت في حياته؛ بدءاً من والده، فأستاذ اللغة العربية، فأستاذ اللغة الإنجليزية، فالصحفي القرعاوي. ثم بعد ذلك ذكر الأجيال التي تلاحت، وقبلها ذكر علمين مهمين وذكرهما في أكثر من مكان في هذا الكتاب، وهما: أبو تراب الظاهري ومحمد حسن عواد.

وهذا الوفاء لم يكن للإنسان فقط، وإنما تعداه إلى المكان وإلى الإبداع، فكان مخلصاً للسرد أينما كان. ثم أعجبتني جملة قالها وهي أن:

«القصّة تكتبه ولا يكتبها»، لأنها عصيّة وتحتاج إلى وقت طويل لتختمر في ذهنه، فإذا اختمرت نطقت، وإذا لم تختمر سكتت؛ فهو يخضع لسكوته ويفرح بنطقها. هذا في هذا الكتاب الذي حوى مقالات كثيرة لا أريد أن آتي على عناوينها، ولكنها فعلاً جاءت بمؤلفاته جميعاً؛ منها ستة مؤلّفات في القصّة القصيرة، ومؤلّفات أخرى في النقد والإبداع والأدب، وكلها تمسك خيطاً رقيقاً هو الوفاء للإنسان والمكان والأدب والثقافة.

عام 2015م شمل كثيراً من سيرته الذاتية، لاسيما مرحلة الطفولة والشباب، وأعجبتُ بأنه يركّز على قضيتين اثنتين هما ما كنتُ أركّز عليه في سيرتي الذاتية، وهما: «رائحة المكان» و«حركة الإنسان». وقد ظل هو وفكره السؤال، وقد ظلّت تخامرهُ الأسئلة لكي يملك الجواب، حتى إنه فيما يقول قد عجز عن الإجابة على بعض الأسئلة؛ وهذا التركيز على الأسئلة جعله يؤلّف كتاباً أسماه «حوار الأسئلة».

وفعلاً، لأرجع إلى رائحة المكان التي ذكرها في موضعين اثنين: في شارع «زقاق» كما يقول (زقاق المنزل)، وفي «الحصاوي» في المطاف الداخلي أمام الكعبة المشرفة وحولها. وأنا أقول فعلاً إن الروائح لا تغيب، قد يغيب الشكل فترة لتتذكر، فنجد أن الرائحة في الأمر.. قلتُ في أكثر من موضع إن رائحة والدي، رائحة صدره، ما زالت عالقة في أنفي إلى يوم الناس هذا.

و«الأروقة» شملت موضوعات متعددة، لاحظتُ فيها تنامي الأسلوب وتصاعده؛ لأنه يتقّف نفسه بنفسه ويفكر في كل جملة يكتبها أو أسلوب بيتدعه، فلذا تكون أساليبه في تطور دائم. وهذا ما لمستّه في الكتب

المتأخرة، حتى في كتابه عن «العواد» حينما كتبتُ مقدمته وجدتُ هذا التناهي فيه، وجدتُ المعلومة الحق الصادقة، هذا هو الأسلوب الذي عمد إليه.

الملفت أيضاً أنه كتب - لا أقول صغيراً وإنما في بداية حياته - كتب في الصحف ولم يتجاوز الخامسة عشرة، وهذا سن صغير على أن تكتب في صحيفة مرموقة مثل «البلاد» أو «المدينة» والمجلات «المنهل» و«اقرأ» وغيرها.

وهذا الالتزام جعله حفيماً بالتنديد ومنجزاً للعمل، فالكتابة يهرب منها كثيرون لأنها تخضع الإنسان للالتزام، ويريد أحياناً أن يتمرد على الالتزام ليبقى حراً.

لم يكن هاجس الأسئلة قد نبع في كتابه "في أروقة الثقافة" فحسب، بل إنه استفتح في كتابه "المعاصرة بين الرؤية والكلمات" بالسؤال؛ إذ قال: «أنفض عن يدي غبار الأسئلة، ويعلق في راحة الكف سؤال»، وأجده منتشياً بعبث طفولي بحثاً عن الحقيقة ووصولاً لكنه الأشياء. فإذا موضوع السؤال ظل يلاحقه من البدء وليس من مؤلفاته المتأخرة. وأنا دائماً أعجب بمن يضع الأسئلة لأنها هي التي تُركي.. ولدي دراسة أسميتها «فلسفة السؤال وثقافة الاستفهام»، فأنا والأستاذ محمد علي قدس على طريق متواز؛ نلتقي، نختلف، قد نختلف في الطرح ولكن نلتقي في النهاية في التوافق، فهو اختلاف يحيل إلى التوافق. وحقيقة وجدتُ الموضوع مبكراً عنده، حركة السؤال مبكرة أنتجها كتابه، لكنها حقيقة تنبئ عن أن أي عمل

لا يحظى بالأسئلة لا يمكن أن يُزكى، وفعلاً الأستاذ محمد السؤال عنده لأقول يعيش، وإنما ينفض الغبار الذي علق بالذهن.

وفي كتابه «المعاصرة بين الرؤية والكلمات» حمل عناوين كثيرة، منها ما يتصل بالموضوعات، وركز على الإبداع في أكثر من عنوان؛ وضع الإبداع في اللغة، والإبداع في الفكر، والإبداع في النتاج الأدبي. ثم بدأ يُعرج على موضوعات أخرى بحثها في كتابه الأول وكتابه الثاني: كتابه الأول «ومضات» وكتابه الثاني «في أروقة الثقافة»، بعد ذلك جاء كتابه «المعاصرة بين الرؤية والكلمات».

وجاء على أشخاص متعددين؛ رواة وقصاص وشعراء، فتحدث عنهم وكأنه يكمل ما بدأه في "ومضات"؛ فمثلاً أدب المرأة تحدث عنه، وأنه يرفض التقسيم إلى أدب ذكوري وأدب أنثوي، ثم أكد عليه أيضاً في "أدب المرأة" هنا. وكذلك الشعر وتعريفاته في كتابه الأول، وفي الثاني تأكيد على ذلك واستدراك لما فاته هناك.

وهكذا تحدث عن هؤلاء سواء كانوا عرباً أو غربيين؛ عن العقاد، والقطار، طه حسين، إبراهيم المصري، نجيب محفوظ، زيادة على ذلك إيليا أبو ماضي في شعره، وعن محمد حسن عواد، وعن أبي تراب الظاهري.. تحدث عنهم وجاء على تأثيرهم على الحركة الإبداعية، أو حتى الحركة الكلاسيكية وليس الثبات عندها، وإنما الإضافة إليها.

كل هذا جعل الملحوظ أنه أعطى كلمة «الثقافة» مساحة كبيرة من كتابه هذا، فوضع أو تعامل مع الثقافة أنها أوسع ميداناً وأرحب مكاناً من

الأدب أو عن الأديب؛ فكأن الثقافة لحاف يلتحف به الأدباء، فكل أديب مثقف ولا عكس.

فإذاً استوقفتني دراسته عن «الخبز الحافي» للروائي المغربي محمد شكري، واستفتح بمقولة لمحمد شكري ثم ختمها أيضاً بمقولة لمحمد شكري، فكأن دراسته ضمها قولان لشكري: القول الأول المبتدأ، والقول الثاني الخبر.

من وفائه لأستاذه محمد حسن عواد ألف حوله كتابين اعتبرهما «سيرة غيرية»، والسيرة الغيرية كما هو معروف تتصف بالحيادية والإنصاف، وسيطر عليها العقل أكثر من العاطفة، ولا مانع أن تكون العاطفة رديفة للعقل. وهذا ما لمستَه في لمسة وفاء لهذه الشخصية العجيبة، وأقول الغربية أيضاً؛ عجيبة في فعلها، وغريبة في تنظيمها وتعاملها مع أوراقها وأشياؤها، وإن كانت حريصة على تدوين ذلك كله.

ثم إن كتابه الأخير جاء على مفاصل مهمة ودقيقة من حياة العواد، وقد حاضر بها الأستاذ محمد علي قدس من قبل في "الأسبوعية الثقافية" التي أنشأتها قبل 14 عاماً - والحمد لله ما زالت مستمرة - وحيث إنه حاضر في الأسبوعية، فقد رغب أن أكتب مقدمة لهذا الكتاب، وما ترددت أبداً الأمرين: الأمر الأول حبي وتقديري وصدائتي لأخي محمد علي قدس، والثانية أنني سأتي على رائد من رواد التجديد في المملكة العربية السعودية، بل لعله حينها يكون هو الأول محمد حسن عواد، وإن كان غيره يتمتع بمواهب.. لعل أبرزهم الشاعر العملاق حمزة شحاتة.

محمد علي قدس

شاهد الحراك الثقافي في نادي جدة الأدبي

محمد عبدالرزاق القشعمي

عرفت الأستاذ محمد علي رضا قدس قبل نحو أربعين عاماً وبالتحديد عند حضوري ندوة (قراءة جديدة لتراثنا النقدي) التي أقامها النادي الأدبي الثقافي بجدة في الفترة من 9 إلى 1409/4/5 هـ الموافق 19 إلى 24/11/1988 م، كان وقتها يشغل أمين سر النادي إلى جانب زملائه أعضاء مجلس الإدارة برئاسة الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين، وكان لهذه الندوة الأثر البالغ لوجود عدد كبير من الأدباء العرب من مختلف بلدانها، وتكرر اللقاء عند زيارتي للنادي، ومنها تسجيل التاريخ الشفوي مع رئيس النادي أبو مدين بمقر النادي بتاريخ 1418/8/23 هـ وكان القدس شعلة نشاط لا يهدأ ولا يمل باستقباله لضيوف النادي والترحيب بهم بتقديم ما يحتاجونه من معلومات، تكررت لقاءاتنا عند زيارته ومشاركاته في المناسبات الثقافية بالرياض وغيرها.

هو أكثر من بقي عضواً بمجلس إدارة النادي الأدبي بجدة، بدءاً بمؤسسه ورئيس مجلسه الأول الأستاذ الراحل محمد حسن عواد ومن بعده الأساتذة: عبد الفتاح أبو مدين ثم الدكتور عبد المحسن القحطاني،

من 1402هـ حتى 1427هـ. وبعد عشرين سنة نجده يعود عضواً بمجلس إدارة النادي عند تشكيله الأخير واستبدال اسمه من النادي الأدبي إلى جمعية أدبي جدة برئاسة الأستاذ الدكتور عبدالله بن عويقل السلمي ليضفي بحكم خبرته الطويلة المزيد من العمل الدؤب في المجال الثقافي.

وقع بيدي كتاب (في أروقة الثقافة) الذي أصدره له النادي عام 1437هـ/2015م الذي قال في مقدمته أنه يكتب عن انطباعاته ويسجل مواقفه وصوره كشاهد على حراك المشهد الثقافي.

وقد بدأ بالقراءة من صغره فهي البوابة التي قادته لبداية الطريق، فقرأ الرواية والقصص للمنفلوطي والسباعي ومحفوظ والهاشمي وغيرهم، وإن كان يعيد الفضل الأول لوالده ومكتبته، وأستاذ اللغة العربية الذي اعتبر مشاركته بمادة التعبير هي الأفضل عن موضوع الإجازة الصيفية، وكذا ما بعثه لجريدة المدينة وهو مازال في السنة الأولى المتوسطة، ونشر في (بريد القراء) عام 1960م.

ويذكر تأثره بالشيخ أبي تراب الظاهري ومعلمه محمد حسن عواد الذي كان يدير مؤسسة الفكر وقدم له مجموعة مواضيع ليطبعتها في كتاب - وهو مازال طالباً في المتوسطة - وقد قابله العواد بتعبيرات وجهه بعدم رضاه، ولكنه لم يبخل عليه بالتوجيه والنصح، وعرف «أن الوقت لازل مبكراً للدخول في عالم الإبداع والتأليف».

وهذا يذكرني بما كان للأستاذ أحمد السباعي في بداياته بعد أن أصدر الشيخ محمد سرور الصبان من مكتبته (المكتبة الحجازية بمكة

المكرمة) عام 1344هـ كتاب (أدب الحجاز أو صفحة فكرية من أدب الناشئة الحجازية) شعراً ونثراً، وكتاب (المعرض).

جمع السباعي بعض المقالات والخواطر وقدمها للصبان طالباً نشرها، فلم يرد له بل قال له ستكلفك طباعته أربعة جنيهات فذهب السباعي لجدته وتحايل عليها لشراء بضاعة فأعطته المبلغ وسلمها للصبان. وبعد أشهر قال له الصبان أنه بعث الكتاب لخير الدين الزركلي بالقاهرة لطباعته، فسافر السباعي للقاهرة وعند مراجعته للزركلي قاله: (شوها الحكي ما وصلني هذا الكتاب) فعاد للصبان الذي أعاد له مسودة الكتاب والمبلغ بأن الزركلي أعاده لعدم اكتماله أو صلاحيته، فأعاد النظر فيه.

ولهذا فقد أعاد القدس النظر وبعد سنوات أصدر أول كتاب له (ومضات في الفكر) من القاهرة، اتجه بعد ذلك لكتابة القصة ومع ظهور تيار الحداثة بدأ بمشاركة حسين علي حسين وسعد الدوسري بأمسية قصصية في نادي جدة وتولى الناقد عثمان الصيني التعليق عليها وتقويمها. وقد علق الأستاذ عزيز ضياء بقوله: (الليلة أصبت بالدوار) لعدم معرفته بالنصوص وقراءتهم المستحدثة.

وهذا يذكرني بما سبق أن سمعته من عزيز ضياء أننا عضوية الدكتور عبدالله الغدامي لنادي جدة وحديثه عن الحداثة والبنوية والتفكيكية وغيرها، قال: إنني معجب أشد الاعجاب بما يقوله الغدامي ولكني أحتاج لخمسة وعشرين سنة حتى أفهم ما يقول!!

وبحكم عمل والقدس بوزارة المالية فهو يتنقل بين مكة وجدة فدراسته الابتدائية بين المدينتين ثم مدرسة الفاروق المتوسطة وكتب أول

مقال صحفي بالمدينة (قصة من الحياة) وعندها التحق بثانوية الشاطئ بجدة جمع بين الدراسة والعمل بالخطوط السعودية موظفاً متعاوناً، وكان أول راتب تقاضاه 650 ريالاً عند التحاقه بمعهد الطيران وتخرج في مجال المراقبة الجوية، ثم انتقل للطيران المدني.

بدأ كتابة القصة ونشر (بأثعة القطائف) بمجلة الاذاعة، ومع بداية المؤسسات الصحفية تولى إدارة مكتب جريدة اليوم بالمنطقة الغربية.

وفي عام 1400هـ نشر له نادي جدة الأدبي كتاب (من وحي الرسالة الخالدة) فأهداه للملك خالد الذي دعمه بعشرين ألف ريال.

بدأت علاقته بالعواد مع تأسيس النادي الأدبي بجدة عام 1395هـ/ 1975م، ومع زيارته له عام 1397هـ بالنادي وجد معه الأستاذ محمود عارف الذي امتدح قصته المنشورة بجريدة البلاد فعرض عليه العواد العمل معه بالنادي، فقال إنني مستعد للعمل دون مقابل لأتعلم منكم فقال له تعال من الغد فأعطاه بطاقة العضوية برقم (2) وعمل حتى عام 1428هـ سكرتيراً للعواد ثم أمين سر النادي.

إضافة لعمله الإذاعي الذي بدأ ببرنامج مسابقات رمضان بعنوان (من هو)؟ وقال أنه أثناء دراسته بالولايات المتحدة في جامعة أيوا عام 1995م بدأت علاقته بالمسرح فقدم برنامج إذاعي مع النصوص المسرحية العالمية ومبديها.

ويصف علاقته بالرائد محمد حسن عواد الذي عمل معه لمدة ست سنوات: «عشت خلالها قريباً منه ولصيقتاً به، أسمع همسه وأقرأ

نبض مشاعره، عرفه الشيء الكثير من ملامحه الإنسانية وعواطفه وأحاسيسه، وبساطة الحياة التي كان يعيشها، وما كان في أدبه وخلقه من سمات إنسانية... لم يكن العهد مغروراً ولا متعالياً، كان رحمه الله أليفاً شديداً للتواضع رغم كثرة خصومه من الأدباء... إن الأستاذ العواد لم يكن سعيداً في حياته، وقد وجدته يمضي كمن وقته في مكتبه بالنادي... وكنت ألاحظ اضطرابه وتغير نبرة صوته حين يكون الثاني على الهاتف إحدى معجباته وتلميذاته من الجنس العطوف كما يسميهن وعن الحداثة قال: «.. فالحداثة كما قال الشاعر الكبير محمد العلي لا يمكن أن يصنعها فرد أو جماعة. وأن المجتمع هو الذي يصنعها ويخلقها بإنتاج مبدعيه، فليس هناك صانع للحداثة بل مشارك في مشروعها، والمشاركون في ثورة الحداثة كثيرون منهم وفي مقدمتهم (الخزندار)» ص 158.

وعن تجربته بالنادي الأدبي التي استمرت 27 سنة قال: «.. لا أدعي أو أتباهي بما قدمت وأعطيت، لكنني ساهمت مع كل الأدباء والمثقفين الذين ساهموا في بنائه..» ص 161.

وقال: «لدي أربعة أبناء أكبرهم أزيد الذي تخرج من جامعة الملك عبد العزيز في علوم التقنية الطبية.. والذي يليه براء وتخرج من قسم الحاسب الآلي بجامعة الملك عبد العزيز، وصهيب تخرج حديثاً.. والأصغر فارس على وشك التخرج وهما يعملان في الإنتاج السينمائي.

- ترجم له في (موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين خلال مائة عام) لأحمد سعيد بن سلم، ط2 «.. وتلقى تعليمه في جدة في نهاية المرحلة

الثانوية، ثم حصل على دبلوم المراقبة الجوية من معهد الطيران المدني عام 1391هـ، حصل على ليسانس إدارة أعمال من جامعة ستانفورد تاما بولاية فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية، حصل على دبلوم صحافة وإعلام من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة عام 1395هـ. عمل مشرفاً على مكتب معلومات الطيران بمطار جدة الدولي.. ورئيس تحرير مجلة الطيران...» ص 318.

- وترجم له في (قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية) ط1، ج3 قال عنه الدكتور حسن النعمي: «... قدس أحد جيل الثمانينيات الميلادية من كتاب القصة القصيرة إلى جانب اهتمامه بالكتابة الدرامية الإذاعية والتلفازية، وقد اختير من بين أدباء ومبدعي العالم للمشاركة في برنامج تجارب الكتاب المبدعين في جامعة أيوا بالولايات المتحدة عام 1995م، كما انتسب إلى عضوية عدد من المؤسسات منها عضوية نادي القصة بالقاهرة منذ عام 1985م. وعدد عشرًا من مؤلفاته بالقصة والنقد والثقافة ومن خلال مؤلفاته المتعددة في مجالات الأدب والنقد والدراسات نلحظ نزوعاً إلى التجديد، وانفتاحه على المشهد الثقافي، وإسهامه في بلورة التوجهات الثقافية الحديثة» ص 1361-1362.

محمد علي قدس: كان الأمين فأين السر؟!

إبراهيم بن عبدالرحمن التركي

بيروق لي بدءًا الاسم ثلاثيًا؛ سواء أ جاء باسم الأب والجد أو كان اسمًا مركبًا، ووقت تعاوني مع إذاعة الرياض صدر توجيه باكتفاء قراء النشرات الإخبارية بأسمائهم الثنائية فلم أستجب لحرص علي اسم والدي قبل اسSSمي ولو أدى ذلك إلى مغادرة الإذاعة، وربما لم أكن الصوت الوحيد الذي افترق فبقي القرار على الورق، وكذا صرت أحسُّ بحميمية مع الوسوم «الثلاثية»، ومنها اسم أستاذنا الصديق محمد علي قدس فلا يمكن تصوُّره ثنائي الإيقاع، ولا يعنيني بعدها إن كان ثنائيِّ الواقع.

تلك زاوية أولى تلتها أخرى؛ فقد لازم اسمه تعريفه بوصفه أمين السر لنادي جدة الثقايفي الأدبي، وهي وظيفة استبدل بها عمل «السكرتير» تارةً، و«المدير التنفيذي» تارةً أخرى، وسواهما مما يشبهها، وتمنيتُ أن أجد في مؤلفات أستاذنا كشفًا لأسرار النادي العريق في حقبة متبدلة صاحبة وثقت بعض مشاهدها من غيره، لكنه - في توقعي - عرف أكثر منهم، وواجه أشدَّ منهم، وربما قال فلم أسمع، أو كتب ولم أقرأ، لتبقى في ذهني صورته هادئًا، مبتسمًا، ودودًا معنيًا بإبداعه من لدن: «ومضات في الفكر» ووصلًا لـ «ظلماً الجذور»، واحتفاء بسيرة الأستاذ القدير «محمد

حسن عواد» الذي لم أعش زمنه الرئاسي، غير أن ربع قرن في أمانة سر النادي العتيد تحتاج إلى كتاب يروي حكاياته وتجربته بشفافية وتجرد في عهد العواد وبعده، وقد تكون هذه المرحلة أبرزها.

أما الثالثة فعلاقة ثقافية جميلة جمعني به عبر مقالاته التي احتفينا بها في الجزيرة الثقافية وقت عملي بها، وعبر المنتديات التي ارتدناها معاً؛ فتكونت ذاكرة ود ووفاء حين يجمعنا منبر أو يحتوينا لقاء، ولن يخلو منه دعاء.

وبعد؛

فتكريم الأستاذ محمد علي قدس تكريم لنا جميعاً، وصدور كتاب عنه توثيقٌ لجهد، وتبويبٌ لجدٍّ ووعيٍّ بقيمة تتابع المسير بتقديرٍ يسير وسعيٍّ إلى الأثير والكثير.

الوفاء قيمة ما يحق لمن يستحق.

صديق من الجيل الذهبي

محمد الشقحاء

الصديق الكاتب والإعلامي والأديب محمد علي قدس من الجيل الذهبي للقصة القصيرة ومن نتاج دنيا الادب بجريدة المدينة وتشاركنا البداية في مجلة الخواطر اللبنانية وعضو فاعل في نادي جدة الادبي اتابع حراكه في منصات التواصل الاجتماع كأخ وصديق شاركني الدرب بقدرة وتميز في القصة القصيرة ومقال الرأي العام ابارك له التكريم كشخصية العام .

حيث برز اسم القاص محمد علي قدس في المشهد الثقافي السعودي الحديث من رواد السرد والقصة في المملكة،
ويعد محمد علي قدس أحد أركان الحركة الأدبية والثقافية في المملكة،
حيث ساهم

بفاعلية في تعزيز حضور القصة السعودية في المشهد الأدبي، وترسيخ مكانة نادي جدة الأدبي كمنبر للحوار والإبداع، مما يجعله بحق رمزاً من رموز الأدب السعودي الحديث.

وحيث تم اختياره من جمعية أدبي جدة شخصياً لملتقى قراءة النص 22 لعام 2026، تقديراً لمسيرته الطويلة وإسهاماته المتعددة في إثراء الأدب

السعودي أقول إن هذا التكريم جاء في وقته وحينه فهو رمز عطاء وشاهد
مرحلة على الحراك الأدبي والثقافي الذي شهدته مملكتنا الغالية في
مرحلة عطاء أنت الأندية الأدبية الثقافية منذ تأسيسها.

محمد علي قدس

تجاربه في الشأن الثقافي وفي الأدب والإعلام

عبدالله بن عبدالرحمن الحيدري

حينما بدأت التخطيط والتفكير لكتابة مقال عن الأستاذ محمد علي قدس بمناسبة تكريمه في ملتقى قراءة النص الثاني والعشرين (1447هـ/2026م)، بحثت عن مؤلفاته الموجودة في مكتبتي، فوجدت الكتب التالية: هموم صغيرة (قصص، صدر عن نادي جدة الأدبي عام 1404هـ/1984م)، وحوار الأسئلة الشائكة (مقالات، صدر عن نادي جدة الأدبي عام 1417هـ/1996م)، والعواد رائد التجديد (صدر عن نادي جدة الأدبي عام 1428هـ/2007م)، وأيام مع العواد: في صحبة عبقرى حالم (صدر عن المجلة العربية عام 1446هـ/2025م)، وهذه الكتب مع أنها لا تشمل كل إنتاجه، فإنها تمثل جوانب واضحة من اهتماماته التي ظلت معه منذ بدأ الكتابة وحتى اليوم إذ تقدمه قاصاً، وكاتب مقالة، ومؤرخاً لحياة واحد من رواد الأدب في المملكة، وهو الأستاذ محمد حسن عواد (ت 1400هـ/1980م) رحمه الله.

ومع أن دراسته وعمله الحكومي الرسمي لم تكن على صلة بالجوانب الثقافية، فإنه حاول أن يوفق بين العمل الحكومي صباحاً، والعمل الثقافي

مساءً، ونجح إلى حد كبير إذ كان له حضور متواصل لم ينقطع منذ أن بدأت صلته بالوسط الثقافي وحتى اليوم، وهو يعني أنه كان على صلة وثيقة بالقراءة والاطلاع والمتابعة للحركة الثقافية والتفاعل معها بالكتابة والتأليف وإدارة الشأن الثقافي في نادي جدة الأدبي.

ويمكن النظر إلى مسيرة الأستاذ محمد علي قدس من ثلاثة جوانب مهمة، وهي:

الجانب الأول: الإدارة الثقافية، وصلته بالنادي الأدبي الثقافي بجدة، ثم بجمعية أدبي جدة منذ سنوات التأسيس الأولى، وحتى اليوم إذ التحق بجمعية أدبي جدة بعد تحول النادي إلى جمعية تتبع المركز الوطني للقطاع غير الربحي، أو القطاع الثالث.

الجانب الثاني: التجربة الكتابية والتأليف، بوصفه قاصاً، وكاتب مقالة، ومؤلفاً للمجموعات القصصية، والمجموعات المقالة، ولكتب عن محمد حسن عواد.

الجانب الثالث: التجربة الإعلامية، وصلته بالصحافة والإذاعة مدة طويلة كاتباً، ومعداً للبرامج الإذاعية الثقافية، ورئيساً لتحرير مجلة (الطيران المدني).

وإذا توقفنا عند الجانب الأول وجدنا أنه ارتبط بنادي جدة الأدبي الثقافي منذ سنواته الأولى، وكان عمره وقتها لم يصل إلى الثلاثين بعد، ويكشف الكتاب الصادر عن النادي، وعنوانه «مسيرة أربعين عاماً»،

وصدر في عام 1435هـ/2014م عن صلته بالنادي رسمياً إذ يحمل العضوية رقم (2)، وهي تعني انتسابه إلى الجمعية العمومية للنادي، وأنه ارتبط بالمجلس الأول للنادي حينما استعان به أميناً، ويظهر من حديث الأستاذ قدس عن صلته بالعواد أنه التحق بالنادي في بداية عام 1397هـ، وهو ما يفهم من قوله في كتابه الأخير عن العواد الصادر عن المجلة العربية: «بعد مرور عامين من تأسيس النادي طلب مني أن أكون سكرتيراً له في النادي»، ثم حدد صحبته للعواد بأنها نحو ست سنوات، وهي مدة شكلت أهمية قصوى في حياة قدس ومسيرته الثقافية والكتابية والإدارية، وجعلته وثيق الصلة بالنادي مدة زادت على نصف قرن، ويعد من أبرز الأسماء التي عملت في النادي دون انقطاع تقريباً، وهي مزية لانكاد نجدها إلا في القلة القليلة من الأدباء.

وقد تدرّج في النادي من سكرتير (أمين) في المجالس: الأول والثاني والثالث والرابع، إلى أن اكتسب عضوية مجلس الإدارة في المجلس الخامس عام 1404هـ/1984م برئاسة الأستاذ عبدالفتاح أبو مدين رحمه الله، إضافة إلى تكليفه بأن يكون أميناً لسر النادي، ثم خرج من المجلس السادس (1427هـ/2006م)، وكذلك السابع (1432هـ/2011م)، ثم عاد مرة أخرى لمجلس إدارة جمعية أدبي جدة عام (1447هـ/2025م)، وهذا يعني أن عمله امتد في نادي جدة ثلاثين سنة متواصلة (1397/1427هـ)، ولكن المدة التي خرج فيها من مجلس الإدارة لا تعني أنه قطع الصلة بالنادي إذ كان ضمن هيئة تحرير مجلة الراوي المتخصصة بالقصة

القصيرة، وكان عضواً في بعض اللجان، وشارك بإدارة بعض الفعاليات، ومن هنا يمكننا القول بأنه ارتبط بالنادي والجمعية منذ سنوات التأسيس الأولى وحتى اليوم، كما ألف كتاباً عنوانه «مسيرة الأندية الأدبية» صدر في عام 1425هـ / 2004م.

وبادله النادي وفاءً وبوفاء، ففي السنوات الماضية كان النادي أول من تبنى إصدار مؤلفاته، وأولها كتابه «من وحي الرسالة الخالدة» المطبوع في عام 1399هـ / 1979م، ويعد من أوائل مطبوعات النادي، ثم طبع له «هموم صغيرة» عام 1404هـ / 1984م، ثم «حوار الأسئلة الشائكة» عام 1417هـ / 1996م، ثم «العواد رائد التجديد» عام 1428هـ / 2007م، ثم توج النادي (الجمعية حالياً) وفاءه لقدس بأن أقر تكريمه في ملتقى قراءة النص؛ تقديرًا لعمله المخلص طوال نصف قرن.

ويفيض قدس في الحديث عن صلته بأول رئيس لنادي جدة الأدبي، وهو الأستاذ محمد حسن عواد الذي رأس النادي في المدة من (1400- 1395هـ)، فيذكر الأعمال التي كلفه بها بصفته أميناً للنادي أو سكرتيراً، ويشير إلى أنه كان يتولى نيابة عنه تحرير الخطابات الخاصة والرسمية، وصياغة محاضر جلسات مجلس الإدارة، وكتابة التقرير السنوي للنادي، ويؤكد في موضع آخر الصلة الوثيقة به خمس سنوات متواصلة، يقول: «عشت خمس سنوات أراه في كل يوم أكثر من مرة، ألزمه كظله»، ومن هنا فليس مستغرباً أن يكتب عنه مقالات عدة، ومنها عشر مقالات ضمها كتاب «العواد وهؤلاء» لمحمد سعيد باعشن، إضافة إلى كتابيه: «العواد رائد التجديد»، و«أيام مع العواد»، وتمخضت صحبته للعواد ونشر بعض

رسائله غير المعروفة في الصحافة بعد وفاته عن متاعب لقدس، وخاصة مع أحمد عبدالغفور عطار، وهو ما أشار إليه في كتابه «أيام مع العواد».

أما المحور الثاني فهو الأقدم إذ بدأت رحلته مع الكتابة الصحفية ونشر القصص القصيرة قبل التحاقه بالنادي الأدبي، وهي موهبة تكاد تحصره بين جنسين أدبيين، وهما: القصة القصيرة، والمقالة، وأول مؤلفاته في فن القصة، وهي مجموعته «نقطة الضعف» الصادرة في بيروت عام 1979م، ومنا هنا رأينا صدر بعد ذلك خمس مجموعات قصصية، وهي: مواسم الشمس المقبلة (1402هـ/1982م)، وهموم صغيرة (1404هـ/1984م)، والنزوع إلى وطن قديم (1405هـ/1984م)، وما جاء في خبر سالم (416هـ/1995م)، وظمناً الجذور (1433هـ/2012م).

أما المقالة فقد أخلص لها، ونشر إنتاجه في العديد من الصحف والمجلات المحلية، ثم جمع معظمها في أربعة كتب، وهي: ومضات في الفكر (1978م)، ووحى الرسالة (1980م)، والمعاصرة والكلمات (1994م)، وحوار الأسئلة الشائكة (1996م).

وهذا يعني أن إنتاجه القصصي والمقالي متقارب، وربما كان إنتاجه القصصي أكثر من المقالي، ومن هنا رأينا معظم المقابلات الصحفية التي أجريت معه تتجه إلى تجربته القصصية، ومنها حوارات مع جريدة الندوة، ومع جريدة الرياض، ومع جريدة المدينة، ومع جريدة عكاظ في المدة من (1406/1409هـ)، ويمكن معرفة تواريخ هذه الحوارات بالعودة إلى كتاب "الراصد" للأستاذ خالد اليوسف.

كما حظيت تجربته القصصية ببعض الدراسات النقدية، ومنها دراسة للدكتور محمد بن سعد بن حسين عن مجموعته القصصية «مواسم الشمس المقبلة» قدّمها في برنامج الإذاعي «من المكتبة السعودية»، ثم نشرها في الجزء الثاني من كتابه «كتب وآراء» الصادر في عام 1403هـ/1983م، ومقالة للدكتور عثمان الصيني نشرها في جريدة عكاظ عام 1405هـ، وعنوانها «فلسفة الضوء ونزيف الذات: قراءة في قصة (ما جاء في خبر سالم) لمحمد علي قدس»، ودراسة لأحمد بن عبدالله النعمي نشرها في (الأربعاء/ جريدة المدينة) عام 1405هـ، وعنوانها «دراسة ونقد: محمد علي قدس ومجموعته القصصية النزوع إلى وطن قديم»، ومقالة لمحمد أحمد عواد نشرها في جريدة عكاظ عام 1406هـ، ومقالة أخرى لعواد كذلك نشرت في عكاظ في عام 1407هـ، غير أننا لا نجد حتى الآن رسالة جامعية (ماجستير، أو دكتوراه) تتجه إلى منجز قدس القصصي، وهو جدير بذلك.

أما المحور الثالث والأخير (الإعلامي) فقد جمع فيه قدس بين الدراسة العلمية والممارسة، ويبدو أن طبيعة عمله في رئاسة الطيران المدني لها علاقة بالإعلام والعلاقات العامة، ومن هنا رأينا يأخذ دورات متخصصة في العلاقات العامة، ثم يلتحق بجامعة الملك عبدالعزيز فيحصل على دبلوم في الصحافة والإعلام، أما شهادته الجامعية فقد حصل عليها في مجال إدارة الأعمال من الولايات المتحدة الأمريكية، وكلفته رئاسة الطيران المدني مقر عمله برئاسة تحرير مجلة «الطيران المدني».

وقد خاض قدس مجال الإعلام في النادي الأدبي بجدة إذ طلب منه الأستاذ محمد حسن عواد أن يتولى هذا الجانب كما أشار إلى ذلك في مقالاته وكتبه عنه، ثم قاده الشغف الإعلامي إلى أن يعد بعض البرامج الإذاعية الثقافية في إذاعة جدة، فأعد برنامجاً استمر سنوات اسمه (النادي الأدبي)، كما أعد كذلك برنامج (قصة من الأدب السعودي)، وشارك بإعداد بعض الأعمال الدرامية للإذاعة، وهذه النافذة مهمة استطاع خلالها محمد علي قدس أن يحقق أهداف النادي الأدبي وأن ينقل جوانب من فعالياته إلى جمهور المستمعين، ومنهم المستمعون خارج المملكة، كما خدم الأدب السعودي حين انتقى بعض القصص ليقدمها إلى جمهور المستمعين، ويذكر فاروق باسلامة أن تجربته الإذاعية امتدت ربع قرن.

وهذا العطاء المتنوع لقدس جعل معدي كتب تراجم الأدباء السعوديين يترجمون له ويوثقون مسيرته، ومن أهمها: معجم الكتاب والمؤلفين في المملكة العربية السعودية الصادر عن الدائرة للإعلام، وقاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية الصادر عن دار الملك عبدالعزيز، ومعجم الأدباء السعوديين لخالد اليوسف، وهو أحدث الكتب، وصدر في عام 2026م.

ولعل من التراجم المهمة لقدس ما ورد في كتاب «أدباء ما بعد الرواد في المملكة العربية السعودية» لفاروق باسلامة، ففيه وردت ترجمة مطولة ومفصلة، ومما قال عنه: «يتوخى المعلومة المفيدة والفكرة الأدبية الجيدة».

أما معرفتي الشخصية بالأستاذ محمد علي قدس فتعود إلى عام 1412هـ/1991م حينما زرت النادي الأدبي بجدة منتدباً من إذاعة الرياض؛ لتسجيل حلقات من برنامج «كتاب وقارئ»، فالتقيت به في النادي، وشارك معي في تسجيل ثلاث حلقات، واستعرض خلالها ثلاثة كتب، وهي: شموع في ثقافة الأطفال لعبد التواب يوسف، وشيء من السياسة والأدب لعبد الله مناع، وشاعرية المكان للدكتور جريدي المنصوري.

كما سعدت به مقدماً لمحاضرتي «منجز لم يُنصف: معجم المطبوعات للظاهر نموذجاً» التي ألقيتها عام 1438هـ/2016م في أسبوعية الدكتور عبد المحسن القحطاني بجدة.

ومذ عرفته وحتى اليوم وأنا من محبيه لأنه أحد الناشطين ثقافياً، وخدم الأندية الأدبية بعامة، ونادي جدة بخاصة، وقدم منجزاً أدبياً يستحق التقدير، ويتمتع بأخلاق عالية وتعامل راق يلحظه كل من اقترب منه، فشكراً لجمعية أدبي جدة على اتخاذ قرار تكريمه في ملتقى قراءة النص، وإصدار كتاب وثنائي عنه يرصد مشاعر محبيه بهذه المناسبة الرائعة.

صديقي وأخي الغالي الأكبر الأستاذ/ محمد علي قدس

خالد أحمد اليوسف

ما زالت ذاكرتي - ولله الحمد والشكر - تعيد إليّ أول لقاء بأخي الأستاذ محمد علي قدس، حينما زرت نادي جدة الأدبي الثقافي في أول مرة قبل أربعين عاماً، وكان يشغل أمين سر النادي، ورئيس مجلس إدارة النادي الأستاذ الكبير/ عبدالفتاح أبو مدين، في تلك الليلة تعرفت عليه عن قرب، بعد أن قرأت مجموعاته القصصية، التي اقتنيتها الواحدة بعد الأخرى:

نقطة ضعف - 1979م.

مواسم الشمس المقبلة - 1982م.

النزوع إلى وطن قديم - 1985م.

هموم صغيرة - 1985م.

بالإضافة إلى أنني كنت متابعا له ولكتاباته وحضوره الأدبي والثقافي في الساحة الثقافية، من خلال نشاطه الواسع في الثمانينات الميلادية، جلست إليه في مكتبه الصغير المساحة، الكبير بالعمل والعطاء والعمق والتجربة الكتابية، كنت في بدايات انطلاقة الجري واللهات وراء الكتابة والنشر، ولم يصدر لي آنذاك إلا مجموعتي القصصية الأولى، ومع هذا منحني من وقته الكثير، وشد على يدي وشجعني في مواصلة الكتابة

والنشر، والقراءات المتعددة، وأخبرني أنهم في النادي يفكرون في إحياء أمسية قصصية لي مع اثنين أو ثلاثة من كتاب القصة القصيرة قريباً، وتواصلت علاقتي بأخي الأستاذ / محمد، عند كل زيارة إلى مدينة جدة، وفي ملتقيات ومهرجانات كثيرة بالرياض؛ وفي نادي القصة السعودي بعد ذلك كان من أوائل المشجعين لي في نشاط النادي وبروز اسمه، وحضر إلينا في النادي عند كل زيارة إلى الرياض، بل وافق على إحياء أمسية خاصة به، وهي عادة نظمتها لكل كتاب القصة القصيرة بالمملكة عند زيارتهم إلى الرياض، علاقتي بأخي الأستاذ / محمد علاقة أخوية حميمة لهذا كان تواصلتي معه دوماً، وفي كل المناسبات الأخوية والأدبية والثقافية، لأنها بنيت على التقدير والاحترام المتبادل، بل إنه من الشخصيات الوفية التي تفرض عليك تقديمه في كل محفل واحتفال، وحينما شاركت مع أخي الأستاذ / حسن الزهراني رئيس نادي الباحة الأدبي، الإعداد لملتقى القصة القصيرة بالباحة، وضعت اسم أخي الأستاذ / محمد علي قدس في قائمة الأسماء التي يجب أن تكرم ويحتفل بتجربته القصصية، والحمد لله تم ذلك في 17 ربيع الأول 1439هـ / 5 ديسمبر 2017م، والآن يتم تكريمه المستحق، والاحتفال بتجربته ليست القصصية فقط! بل تجربته الثقافية الشاملة، فهو ليس قاصاً بارعاً ومتألقاً فحسب، إنه الكاتب الثقيل الذي نشر عشرات المقالات في الصحافة السعودية، والكاتب الأدبي الاعلامي الذي أعد البرامج الثقافية لإذاعة جدة لأكثر من عشرين عاماً، وهو الإداري الثقيل الناجح، الذي أدار باقتدار مسيرة نادي جدة الأدبي الثقيل لفترة زمنية طويلة، وهو المعاصر لأجيال

التأسيس للمؤسسات الأدبية والثقافية، وبرز وفاؤه في الكتابة عن هؤلاء الرواد، واصدار الكتب عنهم، أبارك لأخي الأكبر الأستاذ محمد علي قدس هذا التكريم والاحتفال.

محمد علي قدس

وتحولات الحساسية السردية في القصة السعودية

قراءة في مجموعة مواسم الشمس المقبلة

محمد بن ربيع

توطئة تاريخية مقتضبة:

كانت تحولات القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية ظاهرة لكل ذي نظر؛ فلقد غادرت مبكراً مجالس الوعظ والحكمة، واتكأت أولاً على الحكاية الواقعية المباشرة، ثم مضت نحو آفاق الوعي النفسي والداخلي. هناك بدأ الحدث يتراجع قليلاً ليترك مكانه لتوتر شعوري خفي، وتبددت ملامح الزمن، فيما أخذت اللغة تظهر بوصفها كياناً جمالياً لا مجرد وعاء للأفكار. في هذا الأفق أخذت تتشكل رومانسية متأخرة ذات قناع سردي، جاءت تصويماً للرومانسية الفنائية، وفتحت أمام القصة القصيرة رهانات تجعل القراءة رياضة ذهنية ممتعة.

لم تكن تلك التطورات بفعل مجموعة واحدة، أو حتى عشرين مجموعة، بل كان تحولاً تراكمياً بدأ منذ الستينات واشتد في السبعينات ثم تبلور في الثمانينات، غذته قصص مفردة و غذته مجموعات متباينة الحظ من الذبوع والانتشار. وكان محمد علي قدس حاضراً في هذا الموكب البهي، جزءاً منه، سبقه إليه نفر من كتّاب القصة ولحق به آخرون.

ولقد عرف هذا الموكب أسماء منها: عبدالله جفري بمجاميع مثل: الجدار الآخر 1969م. وسليمان سندي، ومحمد زارع عقيل، ومحمود عيسى المشهدي، وفهد الخليوي، وجبير المليحان، وخليل الفزيع، ومحمد المنصور الشقحاء (الذي أصدر مجموعته الأولى البحث عن ابتسامة في 1976م) وعبدالله سعيد جمعان. ومن الأسماء اللافتة جدا سعيد السريحي الذي نشر قصة «جني المقبرة» في مجلة «البلاد»(*) عام 1971م وهي القصة التي حركت في جيلنا الكثير رغم أن كاتبها كان طالباً في ثانوية الشاطئ آنذاك.

المزيد من الحساسية الجمالية السردية:

في عام 1977م صدرت مجموعة «الخبز والصمت» لمحمد علي علوان بمقدمة ضافية للناقد المصري «يحيى حقي» فكانت من العلامات المبكرة لمرحلة مختلفة. وفي العام نفسه صدرت غدير البنات للرائد إبراهيم الناصر الحميدان، وله جهد سردي مشهود قبل ذلك العام وبعده. وصدرت أغلق الباب خلفك لسليمان الحمّاد، ورجل على الرصيف لعبدالله سعيد جمعان. ثم تتابعت المجموعات بعد ذلك فصدرت: الرحيل لحسين علي حسين 1978م، وحصّة زمن لعلي حسون 1978م، وفي العام الذي يليه 1979م: موت على الماء لعبد العزيز مشري، نقطة الضعف لمحمد علي قدس، الصمت والجدران لسباعي عثمان، أحزان عشبة برية لجارالله

(*) عدد أسبوعي في بداية السبعينات الميلادية من القرن الماضي، على شكل مجلة تصدر عن صحيفة البلاد في كل سبت وقيل إنه كان تمهيداً لمجلة اقرأ.

الحميد، وفي 1980م صدرت الظماً لعبدالله جفري، ومكعبات من الرطوبة لعبدالله السالمي، ثم صدرت: المجانين لحسين حسون في 1983م، مقاطع من حديث البنفسج 1984م لخالد اليوسف، زمن العشق الصاخب لحسن النعمي، مسافات المطر الآتي لفهد العتيق في 1985م. وفي 1986م صدرت النص البديل لأحمد الدويحي والمفازة لمحمد بن ربيع، وفي 1987م صدرت انطفاءات الولد العاصي لسعد الدوسري، وحوار على بوابة الأرض لعبد خال. وفي عام 1989م صدرت ظهيرة لا مشاة لها ليوسف المحيميد. وفي عام 1993م صدرت بيان الرواة في موت ديما لمحمود تراوري، والحفلة لعبدالله باخشوين، ثم ما تلا ذلك من مؤشرات اتساع تجربة القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية وتنامي رهاناتها.

محمد علي قدس في سياق القصة القصيرة السعودية:

كان أديبنا القاص محمد علي قدس حاضراً في هذا الموكب البهي، وقد رسّخ حضوره مبكراً منذ صدور مجموعته الأولى نقطة الضعف في عام 1979م، لكنه واصل في السنوات التالية تقديم عطاءاته الجميلة فصدرت له مجموعة مواسم الشمس المقبلة في عام 1982م، وصدرت له مجموعة النزوع الى وطن قديم في عام 1986م، ومجموعة هموم صغيرة، ثم مجموعة ما جاء في خبر سالم التي صدرت في عام 1995م تلتها مجموعة ظماً الجذور التي صدرت في عام 2012م ليؤكد قدس على رسوخ قلمه في عالم القصة القصيرة وعلى دوره الواضح في تقديم قصة سعودية حديثة تسهم بوضوح في ترسيخ مسار القصة الحديثة في المملكة العربية السعودية.

المجموعة: القصص والرهانات:

تمثل مجموعة «مواسم الشمس المقبلة» تحوُّلاً في الحساسية السردية من الرومانسية الغنائية التقليدية إلى رومانسية متأخرة تتجلى في صورة قلق وضغط نفسي، ويتجسد ذلك في معجم شعوري خاص يمكن مقارنته - على نحو كاشف - بمعجم القلق عند كافكا.

وآمل ألا يغيب عن الفطنة - في حدود هذه القراءة - أني أقصد بالرومانسية المتأخرة المقنعة نفسياً، حساسية وجدانية لم تعد تعبّر عن نفسها في هيئة الحنين الغنائي أو المثال العاطفي، بل في هيئة قلق داخلي وضغط نفسي واحتباس شعوري. وهذا ما أسلمني إليه بحثي في لغة المجموعة وفي معجمها الشعوري.

تقع مجموعة مواسم الشمس المقبلة في قرابة 130 صفحة من القطع المتوسط المؤلف عادة في المجاميع القصصية. وقد جاءت رهاناتها متوزعة على ثلاث عشرة قصة قصيرة هي كما جاءت (في ترتيب الطبعة الأولى عام 1982م):

(مواسم الشمس المقبلة، حزن امرأة مهزومة، غناء السيل، عرف الديك، وتساقطت أوراق العمر، المشوار اللعين، الدوامة، الخوف من النهاية، نداء القرية، العاصفة والمهر الأبيض، وللشيطان حوافر، المجنونة، أقصوستان للظل والمطر).

البناء الشعوري العام للمجموعة:

تتحرك قصص هذه المجموعة داخل أفق أسميه أفق الرومانسية المتأخرة المقنّعة بقناع نفسي، حيث يسهل أن تعثر في العمق الشعوري للنصوص (وحتى عندما لا يذكر النص الماضي صراحة) على إحساس بأن شيئاً ما كان يمكن أن يكون أفضل أو كان ممكناً ثم انكسر أو ينتظر التحقق، فالبنية الشعورية مبنية على إحساس بفقد إمكان ما.

ومن يتأمل هذه المجموعة يلاحظ تراجع الحدث الخارجي أمام كثافة الداخل النفسي وكأن الداخل النفسي يحيط به من كل مكان ويرى الحدث وهو يتراجع أمامه. وعندما تتأمل مجموعة المؤشرات داخل النصوص فسوف تجد أن مؤشر القلق هنا عاطفي مكثف، والمعنى حاضر بكامل توتره لكنه مجروح، والحنين ضمني ومستدام. أما سؤال العدم فيكاد يغيب عن هذه النصوص لأنها لا تطرح أزمة وجود إنسان أمام غول العدم، بل هي تصوغ جرحه بحساسية رومانسية ولغة نفسية حديثة. ولعل هذا هولب الرومانسية المتأخرة.

ومن الواضح فإن قصص المجموعة تتحرك بين ثلاثة فضاءات كبرى:

1 - البيت والأسرة (مواسم الشمس - حزن امرأة مهزومة - عرف الديك - المشوار اللعين).

2 - المدينة الحديثة وضغطها (غناء السيل - الدوامة - وللشيطان حوافر).

3 - الفضاء النفسي والوجودي (الخوف من النهاية - المجنونة -
وتساقطت أوراق العمر - أقصوصتان للظل والمطر).

بينما تشكل بعض القصص جسوراً رمزية بين الثلاثة (قصة نداء
القرية - قصة العاصفة والمهر الأبيض).

وحرى بنا القول أن العنوان (مهما اختلفت القصص تحت مظلته) لم
يكن اختياراً عابراً فالشمس تقابلها ظلال كثيرة داخل تلك القصص، وهذا
التنوع في القصص وفضاءاتها ورهاناتها لا يخرج بالمجموعة عن مزاج شعوري
واحد. ويمكن تلخيص الرهانات الدلالية لقصص المجموعة فيما يلي:

القصة	رهاناتها ومحاورها الدلالية
مواسم الشمس المقبلة	الأمل بتعليم كخلاص من القهر الاجتماعي
حزن امدأة مهزومة	انهيار الحب حين تكشف الخيانة
غشاء السيل	الإنسان المعاصر كأئن تجدفه المدينة
عرف الديك	فضح الذكورية السلطوية داخل الأسرة
وتساقطت أوراق العمر	صراع المرأة مع الزمن والعمر
المشوار اللعين	خوف الطفولة تحت سلطة الأب القاسية
الدوامة	حيرة الإنسان بين العرف والعدل
الخوف من النهاية	القلق الوجودي من المصير المحتوم
نداء القرية	الحنين إلى الجذور الأولى
العاصفة والمهر الأبيض	صراع البراءة مع العنف
وللشيطان حوافر	غواية الشر الكامنة في النفس
المجنونة	الجنون كاحتجاج على الواقع
أقصوصتان للظل والمطر	العاطفة الإنسانية تحت ضغط الشك والخيانة

لغة المجموعة:

اللغة في «مواسم الشمس المقبلة» ليست مجرد أداة نقل، بل هي المجال الذي تتخلق فيه الأحداث، ذلك أن قصص المجموعة لا تُكتب ثم تُصاغ لغوياً، بل تتكوّن داخل اللغة نفسها، وسوف نتأمل مختلف الجوانب التي تغوص في تلك اللغة فتتناولها من الداخل وليس من الخارج:

أولاً: هي لغة مناخية لا سردية: الجملة في بعض القصص لا تخبرك بما يحدث، بل تُدخلك في الجو الذي يحدث فيه كل شيء، لأنها تُراكم الإحساس وتبني ضغطاً شعورياً وتصنع جواً مشحوناً لتحاصر القارئ لا لترشده. والمثال تجده بوضوح في قصة مواسم الشمس المقبلة (ص 18-13) حيث يتقدّم النص عبر تراكمات شعورية لا عبر أحداث متعاقبة، وهنا لا تجد أن القارئ يتابع، بل يتنفس بصعوبة مع النص.

ثانياً: هي لغة كثافج لا اقتصاد: الجملة ليست قصيرة حادة كما في السرد الواقعي الاجتماعي، ولا طويلة موسيقية كما في الرومانسية الكلاسيكية. بل هي: جملة مشدودة الأعصاب، محمّلة بإيحاءات متراكبة، تميل إلى التضييق لا الانسياب تبدو وكأنها مكتوبة تحت ضغط داخلي.

ثالثاً: لغة إيحاءية: تفضل الإيحاء قبل التسمية، لا تسمّي الانفعال غالباً، بل تحيط به من الخارج. لا تقول عن شخصية أنها خافت، بل تجعلك تعيش شروط الخوف. لا تقول عن شخصية أخرى أنها ارتبكت بل تخلق بيئة إدراكية مرتبكة، تعمل بطريقة التجسيد الشعوري غير المباشر.

رابعاً: لغة يتجلى فيها الحضور الحسي الضبابي: المدركات الحسية موجودة دون شك، لكن ليس بوصفها صوراً واضحة، بل بوصفها: ظلالاً وتوترات وإشارات غير مستقرة، الحواس في لغة هذه المجموعة ليست أدوات معرفة، بل أدوات قلق!

خامساً: مجازاتها للضغط وليست للتزويق: الاستعارات والمحسنات في هذه المجموعة ليست استعراضات شعرية تجميلية، بل أداة تشويه إدراكي. مجاز يعكر صفاء الرؤية ليكثف الشعور بالتهديد فيخلق واقعاً غير مستقر وكأن اللغة نفسها تتعرض لتشويش داخلي.

سادساً: لغة ذات إيقاع فسيولوجي يشبه نبض الجسد: إذا أصغينا جيداً، سنلاحظ أن الجملة في هذه المجموعة تتحرك مثل نبض متوتر: تمدد، انقباض، توقف، توتر، تمدد... وهذا ليس إيقاعاً موسيقياً، بل إيقاع فسيولوجي تقريباً، وكأن للجملة شهيقاً وزفيراً.

سابعاً: لغة ضبابها محسوب الدلالة: النص لا يقدم وضوحاً معرفياً كاملاً. هناك غموض لاشك، لكنه غموض يشكل استراتيجية شعورية، وليس غموض العاجز. في هذه المجموعة ترى القارئ لا يفهم كل شيء، لكنه يشعر بكل شيء. وهذا فرق أسلوبى عميق.

ثامناً: لغة تراوح مفرداتها بين المألوف والمشحون: المفردات غالباً مألوفة، لكن السياق يشحنها نفسياً، والكلمة في حد ذاتها لا تتغير، غير أن وظيفتها هي التي تتغير. فتنحول اللغة اليومية إلى لغة توتر.

تاسعاً: لغة تجانب الخطابية التفسيرية: لا توجد جمل تفسيرية أو تحليل نفسي مباشر، فاللغة هنا لا تشرح ولا تفسر ولا تحلل هي فقط تُنتج الحالة.

عاشراً: لغة طابعها الداخلي أقوى من نزوعها التواصلي المباشر: هذه نقطة جوهرية جداً، فلغة المجموعة لا تسعى إلى «التواصل» مع القارئ بالمعنى التقليدي للتواصل، بل يعنىها أكثر أن تدخله في تجربة إدراكية، ذلك أن المؤلف قد اختط لها أن تكون لغة عيش لا لغة بلاغ.

من خلال ذلك كله يمكن لنا تعريف لغة القاص محمد علي قدس بأنها: لغة توتر إدراكي، لغة مناخ نفسي، لغة كثافة انفعالية، لغة إيجاء لا تقرير، لغة تعيش في الحافة بين الشعر والسرد. ليست شعرية بالمعنى الغنائي، بل شعرية قلقة مضغوطة. ومجمل القول: فإن لغة محمد علي قدس في هذه المجموعة ليست لغة تصف القلق، بل لغة تتخلق من القلق نفسه.

المعجم الشعوري للمجموعة:

تششتت مفردات هذا المعجم وتتناثر على سطح قصص المجموعة، لكنها قابلة للتصنيف في حقول سبعة:

أولاً: الحقل المركزي. ويمكن وصف مفردات هذا الحقل بأنها مفردات الضغط والاختناق، وتتضمن الألفاظ الصريحة أو الإيحائية أو الإيمائية التي تقيد هذا المعنى، ومنها: انقباض، شدّ داخلي، توتر، ضغط، ضيق، اختناق، انقباس، ثقل داخلي، احتباس الشعور.

وبالتأكيد فإن هذه الألفاظ لا تشير إلى حالات عابرة، أو إلى أوصاف جوفاء، بل هي تمثل الوضع الطبيعي للذات داخل النص، وتؤدي وظيفة شعورية تقول لنا بأن الوجود يُعاش كحالة ضغط مستمر لا كمساحة مفتوحة.

ثانياً: حقل القلق والترقب: إذا كان الضغط هو الحالة التي ينتظم بها الحدث، فالترقب هو الزمن الذي تعيش فيه ذلك الحدث. ومن صريح مفرداته أو إيحاءاته وإيماءاته نجد: انتظار، ترقب، خوف قادم، إحساس بالتهديد، توجس حذر، ارتياب، شيء ما سيحدث. كل هذه المنتظرات تظل غير محددة المصدر، وتظل تلك المفردات تؤدي وظيفة شعورية تقول لنا بأن المستقبل ليس بالضرورة أملاً بل فيه احتمالات تهديد نافذة.

ثالثاً: حقل الاضطراب الإدراكي: مفردات هذا الحقل ترى أن الذات لا ترى العالم بوضوح ولكن تراه عبر فلاتر ضبابية. ومن تلك المفردات: ارتباك، تشتت، ضباب، عدم وضوح، اهتزاز، تشوش، تذبذب، عدم يقين. وهي مفردات تؤدي وظيفة شعورية تخبرنا أن المشكلة ليست في الواقع فقط، بل في القدرة على إدراكه أيضاً.

رابعاً: حقل الهشاشة والانكسار الداخلي: مفردات هذا الحقل ترى أن الذات ليست صلبة بل قابلة للتصدع. ومنها: ضعف، انكسار، وهن، انهيار، فقدان التوازن، تعب نفسي، استنزاف، استسلام جزئي. وجميعها تؤدي وظيفة شعورية تقول لنا أن الذات تحت الضغط وليست أمامه.

خامساً: حقل العزلة الشعورية: وليست عزلة اجتماعية فقط، بل عزلة إدراكية. ومن مفردات هذا الحقل: انطواء، انسحاب، صمت،

انفصال، وحدة داخلية، انغلاق، ابتعاد. وهي مفردات تؤدي وظيفة شعورية مفادها أن التجربة لا تُشارك، بل تُحتمل فردياً.

سادساً: حقل التهديد الغامض: وهذا حقل بالغ الأهمية في هذه المجموعة، ويغلب عليها الطابع الإيحائي لا المباشر، ومنها: مواسم، قادم مجهول، شيء ثقيل، ظل، اقتراب، اندفاع، قوة غير مرئية. وهي تؤدي وظيفة شعورية مؤداها أن الخطر ليس له جلبة بل يهبط كما تهبط شبكة الصياد لأنه منتشر في الجونفسه.

سابعاً: حقل الاحتباس والانفجار المؤجل: وهذا الحقل يربط بين كل ما سبق لأنه يحتوي على المقدمات والنتائج، ومن مفرداته: كبت، احتجاز، توتر متراكم، تراكم، انفجار محتمل، اندفاع مكبوت. وجميعها تؤدي وظيفة شعورية تقول لنا أن التجربة ليست فقط ضغطاً، بل ضغطاً قد يفضي إلى انفجار.

والآن، ماذا يخبرنا هذا المعجم بشكل إجمالي؟

عند جمع الحقول كلها نجد أن التجربة الشعورية في مجموعة مواسم الشمس المقبلة تتكون من أربع طبقات متراكبة:

- ضغط دائم.
- ترقب تهديد.
- إدراك مضطرب.
- ذات هشة تحتمل.

وهذه ليست مشاعر متفرقة، بل نظام شعوري واحد متكامل. نظام لا يدور حول: (الحب، الفقد، الحنين، الألم الأخلاقي، الصراع الاجتماعي) بل يدور حول: (الضغط، التوتر، الترقب، الانقباض، الخطر، الهشاشة) وهذا يجعل تجربة المؤلف في هذه المجموعة أقرب إلى: قلق وجودي مناخي (لا فلسفي) وتوتر نفسي مستمر وحساسية عالية تجاه التهديد.

النظم الدلالية في معجم مواسم الشمس:

وهذا يأخذنا إلى إعادة تفكيك المعجم على مستويات متعددة من المعنى وكشف بنيته الأنطولوجية والنفسية والبلاغية ضمن خمس طبقات تحليلية متراكبة:

أولاً: الطبقة الفينومينولوجية (كيف تُعاش التجربة؟): معجم مواسم الشمس ليس معجم مشاعر بالمعنى العادي، بل معجم أحوال وجودية معاشٌ جسدياً. لاحظ طبيعة الألفاظ الأساسية: ضغط، انقباض، احتباس، ثقل، شد، ضيق، إنها ليست مشاعر نفسية مجردة، بل هي أوصاف حسية جسدية وتجارب فيزيائية للوجود، بمعنى أنها تجليات شعورية لا تفهم فكرياً، بل تُعاش عضوياً. والنتيجة الفينومينولوجية هنا أن الإنسان في هذا العالم لا يشعر بالخوف بل يختبر الخوف كحالة جسدية للوجود، و الوجود نفسه يتحول إلى إحساس عضلي متوتر.

ثانياً: الطبقة الأنطولوجية (ما صورة الوجود التي يبنيها المعجم؟): إذا جمعنا المفردات الشعورية في معجم مواسم الشمس،

سنلاحظ أنها تشترك في خاصية واحدة نخصرها في عبارة: الوجود ليس فضاء، بل ضغطاً.

لا توجد مفردات: اتساع وانفتاح أفق وإمكان حركة حرة بل مفردات: تضيق، احتباس، انغلاق توتر، والنتيجة الأنطولوجية أن العالم في مواسم الشمس ليس مكاناً يُسكن، بل قوة تُمارس على الكائن. والوجود ليس «مجالاً للحياة» بل «حالة انضغاط مستمرة». وهذا تعريف وجودي بالغ العمق.

ثالثاً: الطبقة السيكلوجية العميقة (ما معالم بنية اللاوعي؟): لو قرأنا معجم المفردات الشعورية في مجموعة مواسم الشمس المقبلة بمنظار التحليل النفسي، فإننا سنلاحظ بنية محددة جداً، تأخذ ملامحها من المحددات التالية: تهديد غير محدد المصدر، قلق دائم بلا موضوع واضح، توتر متراكم، غياب التفريغ، احتمال انفجار، هذه بنية نفسية معروفة جداً، لنا أن نسميها بنية القلق الصدموي المزمّن أي: النفس المستنفرة التي تعيش في حالة استعداد دائم لخطر لم يحدث بعد، لكنه متوقع دائماً.

رابعاً: طبقة المستوى البلاغي (كيف تبني اللغة هذا المعجم؟): معجم مواسم الشمس لا يعمل فقط عبر الكلمات، بل عبر بنية لغوية مولدة للتوتر، وفق ثلاث تقنيات بلاغية مركزية:

أولها: التجسيد الفيزيائي للشعور. حيث تصاغ المشاعر كقوى مادية: (تضغط، تثقل، تنقبض، تحتبس) ثم يغدو الشعور أشبه بقانون

فيزيائي. ثانيها: الإيحاء غير المكتمل، حيث المفردة لا تُغلق معناها، بل تتركه مفتوحاً ومهدداً (ظل، اقتراب شيء قادم) كما تراها تبدو ألفاظاً ناقصة التحديد، وكأن اللغة هنا تخلق تهديدا لا يمكن الإمساك به. ثالثها: التراكم بلا تفريغ، حيث الجمل لا تنفجر دلاليًا، بل تتراكم. وهذا يعيد إنتاج بنية الاحتباس نفسيًا داخل اللغة نفسها، وكأن الأسلوب يعيد إنتاج التجربة نفسها

خامسًا: طبقة الرمزية العميقة (ما الدلالة الحضارية؟): وهنا نصل إلى القراءة الأعمق. لماذا هذا المعجم تحديداً؟ لماذا عالم من الضغط والتهديد والاحتباس؟ هذا المعجم يشير إلى تجربة حضارية محددة بأربع محددات: أن الإنسان داخل قوة أكبر منه لا يفهمها، وأن التحولات قادمة ولا يمكن التحكم بها، وأن الزمن نفسه يشعرك بأنه يضغط، وأن أي مخرج محتمل يظل مخرجاً نفسيًا أكثر منه حلاً واقعياً. وكأن المعجم لا يصف نفسية فرد بعينه، بل يقارب شعورا جمعياً.

والخلاصة: فإن معجم مواسم الشمس ليس مجرد معجم انفعالات، بل هو تجربة جسدية للوجود، ورؤية أنطولوجية للعالم، وتقنية بلاغية لإنتاج التوتر، وإحساس حضاري بالتحول. وإن الصياغة النقدية الأعمق الممكنة يمكن اختصارها في العبارة التالية: المعجم الشعوري في «مواسم الشمس المقبلة» هو نظام لغوي يجسد تجربة وجودية للإنسان بوصفه كائنًا واقعًا تحت ضغط كوني غير مرئي، يعيش في ترقب وقلق.

شعور القلق في مواسم الشمس مثالا:

مقارنة شعور القلق في معجم مجموعة مواسم الشمس المقبلة، بشعور القلق عند كافكا لا تعني هذه افتراض تأثير مباشر، بقدر ما تشير إلى تشابه في البنية الشعورية للقلق بين تجربتين سرديتين مختلفتين. فهي إذن مقارنة شديدة الخصوبة، لأننا لا نقارن كاتبين فقط، بل نموذجين مختلفين جذرياً من تجارب القلق الإنساني. ويمكن بناء هذه المقارنة على مستويات متدرجة، من السطح اللغوي إلى البنية الوجودية. وسأحيل هنا إلى المحاكمة والتحول بوصفهما أنقى تجليات القلق الكافكاوي.

أولاً: طبيعة القلق: في مواسم الشمس المقبلة القلق مناخي جسدي ضاغط. يأخذ شكل توتر منتشر في الجو، أو إحساس بالاختناق، أو ضغط داخلي متراكم، أو ترقب لتهديد غير مرئي، قلق يُعاش كحالة حسية عضوية، ويمكننا القول: إن الإنسان في مواسم الشمس المقبلة محاصر في ضغط شعوري.

عند كافكا: القلق بنيوي وجودي قانوني. يأخذ شكل شعور بالاتهام مع تعذر وانعدام الفهم، يوحى بنظام غامض يحكم الحياة وسلطة لا يمكن الوصول إليها. قلق يُعاش كعلاقة مع نظام غير مفهوم. ويمكننا القول: إن الإنسان في العملين لكافكا محاصر في نظام لا يفهمه.

ثانياً: مصدر التهديد: في مواسم الشمس المقبلة التهديد مناخي غير شخصي، وليس جهة بل حالة (جو مشحون وقوة تقترب وشيء ثقيل وعاصفة نفسية) والتهديد هنا يكمن في «البيئة الشعورية».

عند كافكا: التهديد مؤسساتي رمزي، حيث هناك محكمة وقانون وسلطة وإجراء وحكم حتى لو لم نقرأ ذلك حرفياً فهي موجودة كبنية، والتهديد هنا يكمن في «النظام».

ثالثاً: طبيعة الغموض: في مجموعة مواسم الشمس غموض شعوري، لا نعرف ما سيحدث لأن الإحساس نفسه غير واضح. والغموض إدراكي انفعالي. والعالم يبدو مشوشاً.

عند كافكا: غموض معرّف، نحن لا نفهم القواعد، رغم وجود القانون، لكنه غير قابل للفهم. أما الغموض فهو معرّف منطقي.

رابعاً: صورة الإنسان: في مجموعة مواسم الشمس الإنسان هش ومضغوط ومهدد وقابل للانكسار، لكنه ليس مذنباً، بل هو ضحية ضغط وجودي غير شخصي.

عند كافكا: الإنسان: متهم دائماً ومذنب بلا جريمة ومحكوم بلا حكم واضح وهو متورط في نظام إدانة كوني.

خامساً: البنية النفسية العميقة: في مجموعة مواسم الشمس قلق فيزيولوجي، فالجسد في حالة شد دائم والمشاعر تُعاش كقوى مادية (ضغط - احتباس - اختناق) وبالتالي فالقلق حالة جسدية مستمرة.

عند كافكا: قلق ميتافيزيقي، المشكلة ليست في الجسد، بل في المعنى، وبالتالي فالقلق انهيار علاقة الإنسان بالقانون والشرعية والذنب.

سادساً: حركة القلق عبر الزمن: في مواسم الشمس يتراكم القلق ثم يحتبس، ثم يهدد بالانفجار، وهذه بنية دورية توترية.

عند كافكا: القلق يتصاعد عبر الإجراءات. وكل محاولة للفهم تزيد الإدانة، وهذه بنية إجرائية تصاعدية.

سابعاً: اللغة التي تبني القلق: في مجموعة مواسم الشمس لغة حسية ضاغطة (انقباض - ثقل - احتباس - توتر - ضغط) والمجاز فيزيائي.

عند كافكا: لغة إدارية قانونية (إجراء - استدعاء - ملف - حكم - تحقيق) والمجاز بيروقراطي.

ثامناً: التجربة الوجودية النهائية: في مجموعة مواسم الشمس: العالم قوة تضغط الكائن. والوجود حالة توتر مستمر. والإنسان محاصر في الجو.

عند كافكا: العالم محكمة لا نهائية. الوجود حالة محاكمة مستمرة، والإنسان محاصر في القانون.

وهكذا فإن محمد علي قدس يكتب فيزياء القلق، بينما كافكا يكتب ميتافيزيقا القلق، ولذا يشعر الإنسان عند محمد علي قدس أن الوجود يضغط عليه. بينما عند كافكا يشعر أن الوجود يحاسبه. والوجود في مواسم الشمس قوة طبيعية كالطقس تماما، بينما هو عن كافكا نظام أخلاقي غامض، يشبه المحكمة.

جدول فيه خلاصة المقارنة النهائية

البعد	مجموعة مواسم الشمس	كافكا
طبيعة القلق	جسدي مناخي	قانوني وجودي
مصدر التهديد	الجو النفسي	النظام الرمزي
الإنسان	مضغوط	متهم
الغموض	إدراكي شعوري	معرفي منطقي
اللغة	فيزيائية حسية	إدارية بيروقراطية
التجربة	ضغط	محاكمة

أما الخلاصة الفكرية الكبرى لهذه المقارنة فإنها في أبسط أشكالها ترى مجموعة مواسم الشمس المقبلة تصف الإنسان الذي يَخْشَى أن ينهار. بينما ترى كافكا في التحول وفي المحاكمة يصف الإنسان الذي يَخْشَى أنه مذنب.

خاتمة:

وهكذا تتأكد أهمية «مواسم الشمس المقبلة» لا بوصفها مجموعة قصصية ناجحة فحسب، بل بوصفها علامة على طور من أطوار الحساسية السردية السعودية، حيث لم يعد الحدث هو مركز القصة، بل صار الإنسان في هشاشته الداخلية، وضغطه الوجودي، ومعجمه الشعوري الخاص. وفي هذا تتجلى مكانة محمد علي قدس داخل موكب القصة السعودية الحديثة.

ما جاء في خبر محمد علي قدس

فاطمة إلياس

ثمّة كتاب يكتبون الحكاية، وثمرّة من يكتبون الإنسان. ومحمد علي قدس هو، بلا شك، من أولئك الذين لا يكتبون بسرد ما يحدث، بل ينفذون إلى أعماق النفس الإنسانية، وما يختبئ فيها من وجع وصبر وتأمّل، ويمضون أبعد من الحدث نفسه إلى ذلك الأثر الخفي الذي يتركه في الروح.

وهنا يكمن الفرق بين كاتب يبدي في سرد الأحداث والوقائع، وكاتب ينجح في ملامسة الجوهر الإنساني الكامن فيها. وهذه ليست مجرد سمة فنية في كتابة محمد علي قدس وسرده، بل هي صفة لجوهر شخصيته الإنسانية. لذلك لا يمكن اختزاله في كونه قاصّاً؛ لأن هذا التعريف لا يحيط بجوهره، فهو كاتب إنساني بالدرجة الأولى، يرى في الأدب وسيلة لفهم الإنسان؛ بل، وبعبارة أدق، هو إنسان يكتب.

فهو لا يكتب ليُبهر القراء، ولا ليبرهن على فرضيات بعينها، بل يقدم نصوصه بوصفها أسئلة وجودية تأملية مفتوحة. وهذا ما يجعل تجربته أقرب إلى ما ذهب إليه تودوروف من أن الأدب ليس غاية في ذاته، بل وسيلة لفهم الإنسان. لذلك فإن ما يجعل محمد علي قدس مختلفاً ليس ما يكتبه فحسب، بل الطريقة التي يرى بها العالم، والطريقة التي يقدم

بها الإنسان في نصوصه؛ إذ أعاد تعريف الإنسان سردياً، لا بوصفه بطلاً، بل كائناً هشاً حائراً، يراوح بين الشك واليقين. أي إنه يكتب الإنسان من الداخل، لا من الخارج.

ومن هنا يمكن مقارنة تجربة محمد علي قدس، لا باعتبارها مجرد إنتاج قصصي، بل بوصفها ممارسة سردية تصدر عن حساسية إنسانية ورؤية خاصة للوجود، ثم تجد اكتمالها في النص. وهذا يحيلنا إلى ما قاله موريس بلانشو عن الكتابة؛ إذ إن بعض التجارب الأدبية لا تبدأ من النص، بل تنتهي إليه، فلا يبدو النص بدايةً للمعنى بقدر ما يبدو خاتمةً لرؤية إنسانية وثقافية سابقة عليه. ومن هنا لا يكون النص عند محمد علي قدس نقطة البداية، بل لحظة الاكتمال التي تستقر فيها خبرة المثقف والإنسان معاً.

ومن هذا المنظور يمكن القول إن الكتابة عند محمد علي قدس تنتمي إلى ما يُسمّى بـ “السرد الرؤيوي الإنساني”، أي السرد الذي يستمد مادته الأساسية من الخبرة الإنسانية الكامنة فيه، وهو ما يمنح نصوصه بُعداً تأملياً لا ينفصل عن بعدها الواقعي.

ولا تنفصل هذه الرؤية عن سيرته الثقافية؛ فقد ارتبط اسمه مبكراً بالمشهد القصصي في السعودية، وصدرت له عدة مجموعات قصصية، منها: ظمأ الجذور، وما جاء في خبر سالم. ثم تواصل حضوره الفاعل والمسؤول من خلال إسهامه في النادي الأدبي بجدة، عضواً مؤسساً وأميناً لسر منذ سبعينيات القرن الماضي، لعقود طويلة، فضلاً عن نشاطه الأوسع في المجالين الثقافيين والإعلاميين.

ويدل ذلك على أن الكتابة عنده لم تكن عزلة جمالية منغلقة على ذاتها، بل كانت صورة من صور الحضور في الشأن الثقافى العام، أي ممارسة ثقافية متصلة. وكأنه يحقق ما ذهب إليه بيير بورديو في تصويره للحقل الثقافى؛ حيث يرى أن الكاتب لا يفهم من خلال نصه فقط، بل من خلال موقعه وحضوره الفاعل داخل شبكة العلاقات الثقافية التي ينتج ضمنها، وأن الفاعل الثقافى لا يكفي بإنتاج المعنى، بل يشارك في إعادة إنتاج شروطه.

كما يعكس هذا الالتصاق بالأدب والثقافة أخلاقيات محمد علي قدس وموقفه الإنساني الداعم تجاه المجتمع والعالم، وإيمانه بالأدب بوصفه ممارسة إنسانية، واستشعاره لمسؤوليته تجاه المجتمع، والدور الذي ينبغي أن يضطلع به المثقف في خدمة الثقافة ونشر الوعي وقيادة التغيير. ويكشف أيضاً عن وعي مبكر بأهمية الفعل الثقافى على مستوى العمل المؤسسي، بالتوازي مع فعل الكتابة.

لذلك يشعر من يقرأ سيرته أنه أمام كاتب ومثقف استثنائي، يسبق حضوره الإنساني في المشهد الثقافى منجزه الكتابي؛ لأن قيمة المثقف لا تُقاس فقط بما ينتجه من معرفة وإبداع، بل بما يتركه حضوره من صفاء في الرؤية، واستقامة في الموقف، ونبل في الخلق. وهي جميعاً ملامح تضيء شخصية محمد علي قدس وتمنحها معناها الأعمق.

وحين نقارب سيرة محمد علي قدس، فإننا لا نقارب اسماً في مدونة السرد السعودي فحسب، بل إنساناً جعل من الأدب مرآة لوعيه، وصدى لخبرته، ووعاءً لتأملاته ورؤيته للحياة والعالم.

ومحمد علي قدس من الكتاب الذين لا تقف دلالتهم عند حدود ما كتبوا؛ لأن في أعماق نصوصهم ما يشي بحضور إنساني أوسع من العبارة، وأبقى من الحكاية، وأعمق من الحدث. لذلك لا تتخفى شخصيته، بعمقها الإنساني، خلف النصوص، بل تطفو على سطح الدلالات، وتصبح النبرة الخفية للكتابة. S

محمد علي قدس .. (يحفظه الله) أمين سر .. وكاشف مرحلة!!

يوسف حسن العارف

(1) في سن مبكرة وقف مشدوهاً أمام المشاهد والصور الحياتية التي يعيشها ويتفاعل معها. وتطورت هذه الوقفات إلى مراحل من التأمل.. والتخيُّل.. ثم التساؤلات التي استغرق فيها باحثاً عن الإجابات ليصل إلى كنه المعرفة!!

تلك المعرفة (الثيمة) التي تحركت حولها إحدى قصصه المنشورة في مجموعته «ظماً الجذور» الصادرة عام 2011م، وعنوانها «لهاث الشمس» فبطله القصة «شمس» تسعى منذ نعومة أظافرها إلى العلم والمعرفة إلى درجة اللهاث والسعي الدؤوب.. وهكذا كان «قدس» ساعياً نحو المعرفة من خلال القراءة المعمقة.. والالتقاء بالرواد.. والتلمذة على الأجيال السابقة، فكُون نفسه القارئة، والكاتبة والمبدعة في آن. ليتشكل أخيراً في المجال السردي قاصاً له من المنجزات القصصية ست مجموعات:

- نقطة الضعف 1980م.
- مواسم الشمس المقبلة 1981م.
- هموم صغيرة 1989م.
- ما جاء في خبر سالم 1995م.
- ظماً الجذور 2011م.

وله من الإنتاج الكتابي والصحفي والدرامي ما تعجز عنه السطور!!

وكان آخرها ما نشرته المجلة العربية في العام المنصرم 1446هـ/2025م وهو كتاب: أيام مع العواد/ في صحبة عبقري حالم. والذي تتقاسمه السيرة الذاتية للأديب محمد علي قدس، والسيرة الغيرية للأديب محمد حسن عواد (يرحمه الله)، والذي شرفت بمراجعته وتصويباته كما قال عني ص13.

ومما يذكر له - حفظه الله - أنه أصدر كتاباً سيرياً عام 2015م عن نادي جدة الأدبي بعنوان: في أروقة الثقافة (انطباعات وشواهد في سيرة ومسيرة).

وننتظر منه السيرة الذاتية الكاملة التي يعدها للطبع تحت عنوان: ماجاء في الأحاديث خلف الكواليس/ من مذكرات أمين سر النادي الأدبي في ربع قرن.

* * *

(2) وإذا كان مؤرخو النقد السردي يمرحون الأجيال القصصية إلى ثلاثة أجيال أو أربع - كما أرى - فإنهم يصنفون (محمد علي قدس) من جيل البرزخ أو القنطرة وهو الجيل المنتمي لأواخر السبعينات الميلادية وجيل الثمانينات والتسعينات الذين تجايلوا فيما بين سنة 1397هـ وسنة 1420هـ، وما بعدها حتى اليوم.

وقد امتازت هذه المرحلة بالنضج الفني والتنوع والتحديث، والتكامل بين الشكل والمضمون، والتجاور بين التقليديين والحداثيين، والنزعات التجريبية

والرمزية. ولعل ما يميز (محمد علي قدس) ما يلي:

* خصوبة اللغة وصدق الوصف للبيئة المحلية، والتعبير عن مكونات النفس البشرية.

* الاتكاء على البيئة الحجازية وعاداتها وتقاليدها وشخصيتها.

* كثيف البنى السردية وسرعة إيقاع الحدث والتفاعل مع الزمن القصصي.

* الاشتغال على اللغة وسحرها وتشكيل بنية القصة الزمانية والمكانية.

ولعل أفضل ما تعرف به جهود (محمد علي قدس) القصصية ما قاله الناقد الكبير الدكتور محمد صالح الشنطي في نقده لمجموعته القصصية «ما جاء في خبر سالم» المنشورة عام 1995م، إذ يقول:

«المؤلف صاحب تجربة قصصية عمرها يزيد عن خمسة عشر عاماً/

وقد عرف منذ البداية بالتركيز على إبراز موقف محدد، قد يكون هذا الموقف واقعياً يعنى برصد السلوك الإنساني وتقويمه في إطار شرائط زمنية ومكانية، وقد يكون رومانسياً يحتفل بلحظات التوهج العاطفي، يوظف التشكلات اللغوية ويقتنص التدايعيات والظلال، ويلامس أفق الشعاعية التعبيرية الغنائية، وقد يكون هماً وطنياً ينبعث من قلب الحدث التاريخي ويعتمد على المفارقة المأساوية التي يفرزها هذا الموقف أو ذاك».

* * *

(3) لقد عرفت هذا الرمز/ الرائد/ القاص/ المبدع (محمد علي قدس) منذ أن كان أميناً لسر النادي الأدبي بجدة. فقد كان مهندساً لنشاطاته، ومقرراً لفعالياته، وأميناً على إدارته ومكتبته وإنجازاته.

ساهم وأسهم في كل نجاحاته بمشاركة الرمز / الفتى مفتاح - عبدالفتاح أبو مدين (يرحمه الله) - وثلة المثقفين أعضاء مجلس الإدارات المتعاقبة. عاصر مرحلة الحداثة التي قادها نادي جدة الأدبي بكل صراعاتها الفكرية والأدبية فهو شاهد عصر ولا بد أن يثبت شهادته عنها في منجزه السيري القادم الذي نتظره قريباً إن شاء الله.

وعرفته قاصاً مبدعاً، شاركته بعض الأمسيات معلقاً ومداخلاً وقارئاً ناقداً لنصوصه ومشاركاته فوجدت أن أبرز ما يشغل عليه في نصوصه:

- الواقعية فهو ينطلق من واقع مجتمعه وبالذات من بيئته الحجازية، وهي بيئة خصبة ثقافياً وأدبياً، وبيئة ذات كنوز حكاية يسترفد منها القاص كثيراً من فضاءاتها القصصية.

- اللغة الواضحة والمعبرة والمرتكزة على الدقة في التصوير، والبراعة في الاستهلال، والسلامة اللغوية نحواً وصرفاً وبلاغة، والقدرة على الحوارية والتواصلية.

- التناسات الجمالية: فنجد التناس القرآني، والتناس الشعري، والتناس مع الأمثال أو النصوص السردية المجالية، وفي هذا كثير من الجماليات القصصية.

- الشحوص البطولية: فنجد المرأة والرجل يتقاسمان البطولة في جميع قصصه، ولديه حرص على إبراز حقوق المرأة والمستضعفين والرفع من شأنهم واعتبارهم جزءاً فاعلاً في المجتمع.

- وأخيراً التعمق في داخل النفس البشرية واستظهار مكوناتها والحفر في توازنها ومفارقاتها، وسبر أغوارها وتوظيف ذلك كله في نص بليغ مبهـر.

* * *

(4) وأخيراً فد(محمد علي قدس) ليس قاصاً فقط، ولكنه ناشط ثقافياً، له آراؤه وتوجهاته النقدية عبر كتاباته، واختياراته الإذاعية وشهاداته الإبداعية ومشاركاته الثقافية، وتمثيله للوطن في كثير من المحافل الأدبية، ومازال قادراً على العطاء والتجديد والإنتاج ليظل نبزاساً وقذوة للجيل الجديد من كُتاب القصة والعاكفين في محرابها فله الشكر والتقدير على ما قدم، وله الدعاء بطول العمر في صحة وعافية ومزيد من الإنجازات.

* * *

(5) ولعلني أختتم هذه الشهادة الثقافية بوقفة قرائية ومقاربة نقدية لمجموعته القصصية الأخيرة (ظماً الجذور) الصادرة عام 2011م والتي أؤكد أنها تمثل خلاصة تجاربه، والمؤشر الأقوى - حتى الآن - على فضائه الفنية التي يسير عليها، وتقنياته اللغوية التي يتعاطاها، وشخصياته التي يحركها - على الورق - عبر تجلياتهم الإنسانية ونفسياتهم المتشعبة مجتمعياً، وحياتياً.

ولأنها كذلك فهي تمثل لي - كناقذ - العينة الأكمل من مجمل ما أنجزه القاص من مجاميع قصصية، ولهذا ستكون محل الاختبار والفحص والقراءة الناقدة، متوخياً في ذلك ما أسميه دائماً (القراءة الجمالية) التي تضيف إلى النص المقروء نصاً موازياً.

ولعل أبرز هذه الجماليات ما يلي:

(1) تتسيد (الأنثى) المسار البطولي في هذه المجموعة وعبر ثماني قصص مما مجموعه 9 نصوص قصية قصيرة، وغالباً ما نجد هذه الأنثى

مهزومة نفسياً، مقهورة، مغلوبة على أمرها، شديدة الحساسية، تتفياً
الدرجة الثانية من سلم الحياة الاجتماعية!!

كما في قصة (رقصة المطر، ص 9-13)، و(خيال الظل ص 15-18)
وقصة (الأنثى والمخاض ص 35-40).

ونجد الأنثى الخائنة كما في قصة (الخيوط الرفيع ص 41-44) ونجد
المرأة التي ضاعت أنوثتها وفاتها قطار الأمومة والزواج بسبب التعلم ودرجة
الماجستير والعمل الوظيفي قصة (لهاث الشمس ص 55-59).

وفي نفس الوقت يشعروا القاص بالجمال والرقعة والسحر الأنثوي، في
شخصيات قصصه الأنثوية فهن ذوات الشعر الأسود الفاحم والكتفين
العاريتين، والجبهة الحنطية، والعيون الزرقاء، وغير ذلك من الملامح
والسمات الجمالية!!

وهنا تبدو قدرة المبدع على اقتناص الصور الاجتماعية والسلوكات
البشرية، والرومانسيات الأنثوية مما يقربنا من الواقع الحقيقي الذي يمتح
منه القاص فضاءات نصوصه وإبداعه.

(2) ومن الجماليات التي يمكن الوقوف عندها - نقدياً - ما يسميه النقاد
(العتبة العنوانية) وهو مبحث جميل يؤطر لنا شخصية الكاتب القاص
وفضاءاته الثقافية التي يسير عليها. فعناوين قصصه تتكون من الجمل
الثنائية (7) والمفردة (1) والثلاثية (1) ومن هذه العناوانات اختار
(ظماً الجذور) لتكون عنواناً لكامل المجموعة وهي من الجمل الثنائية

وفي هذه القصة تبدو الحمولات الرمزية والدلالات العميقة ففيها ثنائية الأرض الجدباء والغيم الشحيح، وفيها ثنائية الأنثى وحاجتها للخصب والولادة والرجل غير القادر على إشباع هذه الحاجة، وفيها ثنائية الشؤم الحاصل ويمثله الغراب والسعد المأمول ويمثله الطيور العطشى!!

قصة في غائية الرمزية والإحالات اللاشعورية وتستحق أن تتحول من عنوان داخلي.. إلى عنوان جامع وشامل للمجموعة القصصية بكاملها وهذا وعي من القاص / المبدع!!

ومن جانب آخر فهذه الثنائيات تحيلنا إلى مضامين القصص وفضاءاتها الاجتماعية فهي تشير إلى ثنائية الرجل والمرأة. الرجل بكل صلفه وغروره وتسيده على المشهد الاجتماعي، والمرأة في حالتها النفسية المأزومة والمقهورة الظامنة لكل معاني الحياة الأنثوية والفاقدة لها في الآن نفسه

(3) يبدو المكان والزمان أو ما يسمى بـ (الزمكانية) من انشغالات القاص / المبدع محمد علي قدس، ففي هذه المجموعة يتضح المكان والزمان بكل حمولاتهما الواقعية، ورمزيتهما الدلالية، فنجد المكان المغلق: الغرفة - السيارة - المطار - الطائرة - المقهى - المكتب - الدار - المستشفى. ونجد المكان المفتوح: القرية - المدينة - الحارة - السماء - الصحراء - الأرض - الريف. ونجد المكان هنا متحكماً في حركة القصة وفاعلاً فيها مسهماً في إظهار مشاعر الشخص. فالمكان له حضوره المعاضد لحالة الإنسان/ بطل النص.

والمكان المغلق هنا له دلالة العلاقة بين الإنسان والبيئة وتطوره من خلاله أما المفتوح فدلالته الحرية والانعتاق والخيال والتواصل مع الآخرين.

وهنا نجد حركة الأحداث وتطورها ضمن البيئة المكانية التي يختارها المبدع/ القاص والأمثلة على ذلك كثيرة ويصعب حصرها.

أما الزمن فيتجه المبدع/ القاص نحو زمنين يتوازيان ويتكاملان فالزمن الواقعي أو التاريخي أو زمن الحكاية أو الزمن الفيزيائي وهو الذي يتبدى لنا من خلال مفردات الليل والنهار والضحى والصبح والسنة والشهر وغيرها وما يدل عليها من الظلمة والفجر، والشمس والقمر، وهذا هو الزمن الواقعي. وأما الزمن المتخيل أو زمن السرد والذي يدخل فيه الزمن النفسي فهو ما تحيلنا إليه جماليات القص ولغته الإيحائية فنجد اختزال الزمن، والقفز والتداعي والانثيال والFLASH باك وما تشير إليها الزمانات النحوية الماضي والحاضر والمستقبل!!

في هذا الزمن المتخيل نجد المشاهد الحيوية، المتحررة، والمدهشة والمفاجئة وهذا يدل على مهارة المبدع/ القاص في قيادة الخط الزمني في تواشج مع المكان الذي يعد هو الوعاء المتكامل للشخوص والأحداث والزمان. (4) وأخيراً تقف هذه القراءة الناقدة عند الجماليات الفنية حيث اللغة والصور البلاغية والإشارات الاستعارية والتشبيهات الدلالية. فمن مجمل المجموعة القصصية يرصد الناقد الجمل القصيرة والعبارات الشعرية، واللغة التخيلية. كذلك نجد التفاصيل الصغيرة والتعمق في وصف النفس البشرية وما يعتمورها من مظاهر الحزن والفرح والبؤس والإرهاق.

كما نجد التناسات التراثية والشعبية والقرآنية والشعرية مما يدل على ثقافة القاص/ المبدع وتراثيته، وقدرته على التناص اللغوي والأسلوبي.

ولعلي أخص أبرز الجماليات الفنية / اللغوية في هذه المجموعة فيما يلي:

- (1) انتقاء القاص للمفردات الدالة والمعبرة على الحدث والشخصية.
- (2) التكتيف والإيجاز عندما يستحق الأمر ذلك والاستطراد المبطن عندما يحين وقته.
- (3) التمكن من الأدوات البلاغية وفتون اللغة التصويرية.
- (4) وأخيراً البعد الإيحائي وليس التواصلي في لغته الفاتنة وفي كثير من نصوصه القصصية.

* * *

وختاماً.. فإني أعتقد - بل أجزم - أن هذه المجموعة القصصية تمثل أجمل ما في مسيرته القصصية بعد الخمس مجموعات السابقة حاولت أن أستكنه جمالياتها العتباتية والنصوصية واللغوية حتى تحلق عاليةً في فضاء المثاقفة الإبداعية..

وهنا أؤكد أن القاص المبدع محمد علي قدس قد بلغ في النضج الفني والتنوع والتحديث والتكامل بين الشكل والمضمون والتحاور مع النزعات التجريبية والتجديدية ما يجعلنا نقنتع بأنه صاحب إنجازات جديرة بالتواصل والتثاقف والتعاطي النقدي المفيد!!

والحمد لله رب العالمين.

دراسات قبلية ومراجع مساندة

- (1) د. محمد صالح الشنطي: آفاق الرؤية وجماليات التشكيل، حائل 1418هـ.
- (2) د. سحمي الهاجري: جدلية المتن والتشكيل...، نادي حائل الأدبي 1430هـ.
- (3) د. سحمي الهاجري: القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية، نادي الرياض الأدبي 1408هـ.
- (4) د. يوسف حسن العارف: في فضاءات النص السردي السعودي المعاصر، نادي نجران الأدبي 2013م.
- (5) الشبكة العنكبوتية: علي الدميني: شعرية القصة القصيرة.
تأثر العذارى: جماليات اللغة في القصة القصيرة.
شبكة الفصيح: النقد الجمالي.

قدس وأدبي جدة علاقة نصف قرن

صالح الخزمري

لا يكاد يذكر اسم محمد علي قدس إلا ويذكر معه نادي جدة الأدبي ، مسيرة تعدت نصف قرن كان خلالها قدس رقماً مهماً في مسيرة النادي العريق ، عاصر البدايات وجايل الرواد من أمثال محمد حسن عواد وعزيز ضياء وعبدالفتاح أبو مدين رحمهم الله ، عرفناه إدارياً (أمين سر النادي) ولكنه كان الحاضر في كل نجاحات النادي مثل دوريات النادي الشهيرة داخل وخارج المملكة، ومناشط النادي المختلفة ومن أبرزها: ملتقى قراءة النص والذي لازال مستمراً حتى عامنا هذا، وأكمل المسيرة بعضوية مجلس إدارة جمعية أدبي جدة فكان نعم المعين في كل عمل يسند إليه.

محمد علي قدس لم يكن إبداعه محصوراً بأدبي جدة فقط فحضوره في المشهد الثقافي محاضراً ومداخلاً ومشاركاً وكاتباً أكبر من أن نتحدث عنه في هذه العجالة ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

ولعل الجانب الإبداعي والذي لا يخفى على ذي لب هو العلامة التي لا تخطئها العين قدس قاص من طراز فريد فله عدد من المجموعات القصصية منها على سبيل المثال لا الحصر : ظمأ الجذور وما جاء في خبر سالم وغيرها.

كما أن حضوره الإذاعي وإنتاجه لعدد من البرامج الإذاعة قد شغل مساحة كبيرة من وقته رغم كثرة مشاغله ما بين النادي وكتابة المقالات في عدد من الصحف والمجلات، وكتابة القصة ، وعمله الوظيفي في رئاسة الطيران المدني قبل أن يتقاعد.

محمد علي قدس لم يكن يتردد إطلاقاً في المشاركة معنا في أي استطلاع أو قضية ثقافية أو تأبين شخصية ثقافية فكان صديقاً لكل الصحفيين بل معلماً ومرشداً لهم.

ولا يمكن لمن يعرف محمد علي قدس تجاوز الحديث عن دماثة خلقه وهدوئه وبعده عن النزاعات والصراعات ، واحتفائه بكل من يقابله أياً كان.

شكراً بحجم السماء لجمعية أدبي جدة ، ولرئيس مجلس إدارة جمعية أدبي جدة د. عبد الله السلمي لاختياره الشخصية المكرمة في ملتقى قراءة النص في نسخته 22 لعام 2026م (آفاق الأدب السعودي في ظل رؤية المملكة 2030) باعتباره شخصية ثقافية خدمت المشهد الثقافي بشكل عام وأدبي جدة بشكل خاص.

محمد علي قدس جسراً بين جبلين

عبدالله التعزي

حين أفكر في الأستاذ محمد علي قدس، لا أفكر في اسم بقدر ما أفكر في زمن كامل، زمن كانت فيه الكتابة أشبه بمشي طويل في ممر بلانوافذ، وكان القاص يمضي وحده، يحمل قلمه الصغير، ويؤمن أنه يكفي، ليهزم العتمة التي حوله. كان محمد علي قدس أحد أولئك الذين حملوا مصابيحهم بهدوء، لا ليضيئوا الطريق لأنفسهم فقط، بل ليتركوا خلفهم خيطاً من نور يستطيع الآخرون أن يتبعوه دون أن يشعروا أنهم يتبعون أحداً.

الصديق الاستاذ محمد علي قدس، القاص، والإنسان، وذاكرة مرحلة كاملة من التحول الثقافي في مدينة جدة ومكة، ولم يكن مجرد أمين سر سابق لنادي جدة الأدبي، هذا الصرح الذي شكل أحد أهم مراكز الحراك الثقافي في المملكة العربية السعودية منذ تأسيسه في عام 1975، بل كان شخصاً هادئاً، يعمل بصمت، ويؤمن أن الثقافة ليست منصة للظهور، بل مسؤولية أخلاقية تجاه اللغة، وتجاه الإنسان، وتجاه الزمن نفسه.

ولد محمد علي قدس في مكة المكرمة، المدينة التي ولدت بها أنا أيضاً وأعرف أنها لا تمنح أبناءها مجرد مكان للعيش، بل تمنحهم طبقات من

الذاكرة الشعبية الغنية بتفاصيل التفاصيل. في مكة، تعلمنا تلك الفترة المبكرة أن الزمن ليس خطأ مستقيماً، بل دائرة، وأن الأصوات التي نسمعها اليوم قد تكون صدى لأصوات مرت هنا قبل مئات السنين. هذه الطبيعة الخاصة لمكة، بتكوينها الروحي والثقافي، انعكست بوضوح في شخصية محمد علي قدس، الذي حمل تلك البساطة المكية العميقة، ذلك المزيج النادر من التواضع والصلابة، من الهدوء والانتباه، من القدرة على الاستماع أكثر من الرغبة في الكلام.

بدأ نشاطه الثقافي في فترة كانت القصة القصيرة السعودية تتشكل وتتحول نحو الحداثة. في السبعينات والثمانينات، ساهمت الأندية الأدبية مثل نادي جدة الأدبي في ظهور الأدب السعودي الحديث من خلال لقاءات وحوارات بين الكتاب.

وأعتقد من متابعتي للصفحات الثقافية في الجرائد تلك الأيام وفي ذلك السياق، أن محمد علي قدس ظهر كواحد من الأصوات التي اختارت القصة القصيرة، لأنها الطريق الأسهل، بل لأنها الطريق الأكثر صدقا بالنسبة له. القصة القصيرة، كما أعتقد من كتاباته أنه يفهمها، ليست اختصاراً للرواية، بل تكثيف للحياة نفسها، لحظة واحدة يمكن أن تحمل زمناً كاملاً.

أصدر محمد علي قدس ست مجموعات قصصية، وكانت هذه المجموعات تمثل امتداداً لتجربة سردية ناضجة، تجربة لا تعتمد على الصخب، بل على الملاحظة الدقيقة، وعلى القدرة على التقاط التفاصيل الصغيرة التي تمر عادة دون أن ينتبه إليها أحد. في قصصه، لا نجد

أبطالا خارقين، بل نجد الإنسان العادي، ذلك الإنسان الذي يمشي في الشارع، ويجلس في المقهى، ويصمت طويلا، ويحمل في داخله عالما كاملا لا يراه أحد. إن ما كان يميز محمد علي قدس لم يكن فقط ما يكتبه، بل الطريقة التي يعيش بها الكتابة. لم يكن يرى نفسه أعلى من الآخرين، ولم يكن يتعامل مع تجربته بوصفها إنجازا يستحق التباهي، بل بوصفها جزءا من مسار طويل، مسار يشارك فيه الجميع.

أتذكر لِقائِي الأول به، وكان ذلك في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات، عندما دخلت نادي جدة الأدبي بعد رحلة دراسة خارج المملكة. كنت أحمل في داخلي ذلك التوتر الجميل الذي يشعر به كل من يعود إلى المكان الذي يحبه، لكنه يعود إليه كشخص مختلف. دخلت النادي، وكان المكان يبدو لي كأنه قلب حي، ينبض بالكلمات. وبدا لي المبنى وكأنه يحتفظ بأسرار الذين مروا من هنا عندما شاهدت بعض الأسماء المعلقة على لوحة في الجدار بالقرب من المدخل وشاهدت أيضا المكتبة الصغير التي تعرض إصدارات النادي. وكان محمد علي قدس أول من التقيت به.

لم يكن في حضوره ما يلفت الانتباه بالمعنى الظاهري، لم يكن صوته مرتفعا، ولم يكن يسعى إلى أن يكون في مركز المشهد، لكنه كان يمتلك تلك الهالة الهادئة التي تجعل الآخرين يشعرون بالراحة. تحدثنا، وكنا يومها نتحدث عن القصة، عن الكتابة، عن البدايات، وكنت أنا أقدم مجموعتي الأولى، بينما كان هو قد أصدر ثلاث مجموعات، وكان له أكثر من عشر سنوات في النشاط الثقافى. ومع ذلك، قال جملته التي لا أنساها:

«أنت قاص، وأنا قاص، وطباخ ما يحب طباخ».

قالها بابتسامة خفيفة أشعرتني تلك الجملة بالدهشة المشوبة بالابتسامة، ليس لأنها مجاملة، بل لأنها اعتراف من قاص سبقني بعشر سنوات، ومن إنسان لم يكن بحاجة إلى أن يمنح أحدا شيئاً، لكنه منحني تلك اللحظة. حيث أصبحت في مستواه وأنا لم اصدر شيء الى تلك اللحظة.

منذ ذلك اليوم، أصبحت صداقتنا تمتد، بصمت يشبه امتداد الضوء الصامت. نتقابل بعد أشهر ونسلم على بعض وكأننا تقابلنا البارحة في نادي جدة. مباشرة في الحوار وحميمية في الكلمات. لم تكن لقاءاتنا كثيرة، لكنها كانت دائماً حميمة، دائماً تحمل ذلك الشعور النادر بأن الزمن، رغم كل شيء، لا يستطيع أن يفسد العلاقات التي بنيت على الاحترام.

ومن خلال متابعتي لسنوات لما يكتب محمد علي قدس في الصحف والمجلات او من سماعي لما يعد من برامج في الإذاعة، أكاد أجزم بأنه يعتقد أن اللغة، ليس أداة جامدة بل يتعامل معها ككائن حي. فقد كان حريصاً على أن تكون الكتابة دقيقة، ونظيفة، وخالية من الأخطاء التي يمكن أن تجرح النص. ولذلك أرشدني في ذلك اليوم الأول لزياتي لنادي جدة إلى الأستاذ حسين بافقيه، الذي كان يومها في بدايات تخرجه من الجامعة، وكان متواجداً في النادي الأدبي، وكانت لغته العربية قوية، سليمة، مبهرة إلى درجة جعلتني أعيد التفكير في علاقتي بما أكتب

من كلمات. ذلك الإرشاد والتوجيه إلى الأستاذ حسين بافقيه لم يكن مجرد نصيحة، بل كان امتدادا لشخصية محمد علي قدس، الذي لم يكن يحتفظ بالمسعرفة لنفسه، بل كان يشاركها مع الآخرين أين كانوا وبسخاء.

وأصبحت بعد ذلك من مرتادي نادي جدة الأدبي بانتظام وأتابع ما يقدمه النادي من محاضرات مميزة وما يقدمه محمد علي قدس من دور مهما، ليس فقط ككاتب، بل كمنظم، وكشخص يساهم في بناء البيئة الثقافية نفسها. عندما كان أمين سر النادي، كنت أشعر أن ذلك المنصب بالنسبة له مسؤولية، لا امتيازا. فقد كان يعمل بصمت، ينسق، ويتابع، ويكتب، ويقراً، ويحاول أن يحافظ على ذلك التوازن الهش بين الأجيال المختلفة.

كان يعرف الجيل الذي سبقنا، وكان يحدثني عنهم، لا كأسماء في الكتب، بل كأشخاص حقيقيين، من لحم وذاكرة. كان يحدثني عن محمد حسن عواد، ذلك الصوت الذي كان يحمل جدة في قلبه، وعن عبدالفتاح أبو مدين، الذي كان يرى الثقافة كرسالة، وعن عبدالله عبدالجبار، وعن ذلك الجيل الذي بنى الأساس الذي نقف عليه اليوم. وكان يحدثني أيضا عن المعاصرين، عن الدكتور سعيد السريحي، وعن الدكتور عبدالله الغدامي، وعن تلك النقاشات التي كانت تمتد لساعات، عن الأدب، وعن الحداثة، وعن اللغة، وعن الهوية. فمحمد علي قدس شاهدا تلك التحولات، لكنه لم يكن مجرد شاهد، بل كان جزءا منها. لم يكن من أولئك الذين يسعون إلى الواجهة، بل كان من أولئك الذين يصنعون الواجهة للآخرين.

إلى جانب نشاطه الأدبي، كان محمد علي قدس متابعا دقيقا للحراك الثقافي عبر الصحافة، وكان يدرك أهمية الإعلام الثقافى في تشكيل الوعي العام. شارك في إعداد برامج ثقافية، وساهم في تقديم الأدب إلى جمهور أوسع، لأنه كان يؤمن أن الأدب لا يجب أن يبقى محصورا في دائرة ضيقة، بل يجب أن يصل إلى الناس. كان يرى أن القصة ليست مجرد نص، بل جسرا. وهو نفسه كان جسرا، بين الأجيال، بين الأزمنة، بين البدايات والامتدادات.

ما يميز محمد علي قدس، قبل كل شيء، هو إنسانيته. تلك القدرة النادرة على أن يكون الإنسان بسيطا وعميقا في الوقت نفسه. كان يحمل البساطة المكية التي لا تحتاج إلى تبرير، والعمق الإنساني الذي لا يحتاج إلى إعلان. لم يكن يتحدث كثيرا عن نفسه، لكنه كان يتحدث كثيرا عن الآخرين، وكان يحتفي بالكتابة، حتى عندما لا تكون كاملة، لأنه كان يرى في كل محاولة بداية.

اليوم، بعد أكثر من خمسة وثلاثين عاما من تلك الصداقة المتباعدة، أشعر أن محمد علي قدس لم يكن مجرد صديق، بل كان علامة في الطريق، علامة تشير إلى الاتجاه الصحيح، دون أن تطلب منك أن تسير فيه. هناك أشخاص يمنحونك أكثر مما يقولون، ومحمد علي قدس كان واحدا منهم. لقد علمني، دون أن يقصد، أن الكتابة ليست سباقا، بل رحلة، وأن الاحترام هو الشكل الأجمل للمعرفة، وأن التواضع ليس ضعفا، بل قوة نادرة.

يستحق محمد علي قدس التكريم، لا فقط لأنه كتب، بل لأنه عاش الكتابة، لأنه كان جزءاً من ذاكرة الثقافة السعودية، لأنه ساهم في بناء مساحة يستطيع الآخرون أن يقفوا فيها، لأنه كان إنساناً، قبل أن يكون قاصاً.

وعندما أفكر فيه اليوم، لا أراه في الماضي، بل أراه واقفاً هناك، في نادي جدة الأدبي، بابتسامته الهادئة، يقول جملة التي لا تزال تتردد في داخلي:

«أنت قاص...»

وكان تلك الجملة لم تكن اعترافاً فقط، بل كانت بداية طريق كامل.

قائمة كتب محمد علي قدس المطبوعة كاملة

أولاً: المجموعات القصصية:

هذه هي جوهر مشروعه الأدبي:

- 1 - نقطة ضعف (1979) مجموعة قصصية مبكرة تعكس بداياته السردية واهتمامه بالإنسان العادي.
- 2 - مواسم الشمس المقبلة (1985) مرحلة نضج في تجربته، حضور للزمن والتحويلات النفسية.
- 3 - النزوع إلى وطن قديم (1986) من أبرز مجموعاته، تعالج فكرة الذاكرة والانتماء.

4 - هموم صغيرة (1986) تتناول التفاصيل الإنسانية الدقيقة، وهي سمة واضحة في أسلوبه.

5 - ما جاء في خبر سالم (1995) واحدة من أهم أعماله، خبرته الطويلة في بناء الشخصية القصصية.

6 - ظلماً الجذور (2012) آخر مجموعاته ، وتمثل خلاصة تجربته السردية الممتدة لعقود.

ثانياً: الكتب الفكرية والمقالات:

7 - ومضات في الفكر (1978) كتاب مبكر يعكس اهتمامه بالتأمل الثقافى والفكري.

8 - من وحي الرسالة الخالدة (1980) كتاب مقالات ذات طابع فكري وثقافى.

9 - المعاصرة بين الرؤية والكلمات (1994) كتاب نقدي وتأملي في الثقافة واللغة.

10 - حوار الأسئلة الشائكة (1995) مجموعة مقالات تتناول قضايا ثقافية وفكرية معاصرة.

ثالثاً: كتب السيرة الثقافية والتوثيق:

11 - العواد رائد التجديد (2007) كتاب مهم يوثق تجربة الأديب محمد حسن عواد، أحد رواد الأدب السعودي، ويعكس اهتمام قدس بالتوثيق الثقافى.

ملتقى النص الثاني والعشرين

منصود بن عبدالعزيز الحجيلي

لقد قفزت المملكة العربية السعودية، قفزات جبارة، انطلاقاً من رؤية سيدي سمو ولي العهد الأمير محمد بن سلمان - حفظه الله -، حيث كان للأدب محور في رؤية «2030»، حيث كان أحد أهم أهداف رؤية 2030 يتمثل في دعم الثقافة؛ لتحسين جودة الحياة، وذلك عن طريق العمل على تطوير القطاع الثقافي والحفاظ على التراث، خاصةً الموروث الشعري، فكانت رؤية «2030» بداية لعصر ذهبي للثقافة والشعر والأدب بشكل عام. وانطلاقاً من هذا، كان لجمعية «أدبي جدة» قصب السبق ذلك، فكان ملتقى النص - المتجدد في كل عام - حتى وصل إلى «ملتقى النص الثاني والعشرون» بعنوان «آفاق الأدب السعودي في ظل رؤية المملكة 2030»، لعكس الوعي العميق بالتحويلات النوعية التي تشهدها بلادنا، وأن واقع الأدب يمثل ركيزة إنسانية وروحية تمنح المشاريع النهضوية معنى عميقاً. حيث وضع خمسة محاور تحت هذا العنوان :

- أثر الرؤية في تطور الأدب وتحويلات الأجناس الأدبية.
- تحولات الخطاب الأدبي السعودي وآفاق التلقي.
- الأدب السعودي وبناء الإنسان وآفاق الاستثمار.

- التجارب الأدبية السعودية الجديدة وتمثلات المكان.
- الأدب السعودي الرقمي وآفاق الترجمة.

و جميع هذه المحاور تدل على تلك الرؤية الطموحة للجمعية، لتكون رائدة للمشهد الثقافي والأدبي، وساعية لترسيخ الهوية القافية والأدبية، وتعزيز الانتماء لهذا البلد المعطاء.

وكعادة «جمعية أدبي جدة» في كل عام، حيث تكرم شخصية تقديراً لعطاءها الأدبي والإبداعي، تزامناً مع فعاليات الملتقى؛ فكانت الشخصية المكرمة هي «سعادة الأستاذ محمد علي قدس» الذي يعد من رواد القصة القصيرة في السعودية، وهو كاتب وأديب، يصف نفسه بأنه قد عاش مغموساً في الحبر والأوراق، باحثاً عن الحقيقة والدهشة.

وهو فعلاً شخصية تستحق التكريم، فحياته حافلة بالعطاء مليئة بالإنجاز، فقد أصدر مجلة «شلة الأنس» وقت أن كان طالباً في المرحلة الثانوية، ومارس العمل الإذاعي في عهد روادها الكبار في السبعينات الميلادية، وشارك مع أدباء جدة في انتخابات تأسيس نادي جدة الأدبي في 1977م وانضم لمجلس إدارته في عهد الأستاذ محمد حسن عواد -رحمه الله - وأصدر كتابه «من وحي الرسالة» ثم مجموعة القصصية «نقطة الضعف» في 1985م.

وقد تم ترشيحه للمشاركة في ملتقى مبدعي العالم في الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1995م، تم تكريمه ضمن الأعضاء المؤسسين والمؤثرين في مسيرة «نادي جدة الأدبي»، وذلك في عام 1418هـ، وأيضاً تم

تكريم في يناير 2011م من جامعة الدول العربية في الدورة الحادية عشرة في عمان برعاية العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني ضمن برنامج تكريم الرواد العربي المبدعين .

و اليوم يتم تكريم تزامنا مع فعاليات «ملتقى النص الثاني والعشرون» من قبل النادي الذي شارك في تأسيسه، وعمل فيه بجده و نشاط، وكان أحد لبنات البناء و التطوير فيه.

شكرا لجمعية أدباء جدة، وشكرا لسعادة رئيس الجمعية الأستاذ الدكتور عبد الله بن عويقل السلمي، على تكريمهم لهذه الشخصية الفريدة الرائعة، التي لا تمل من قراءة سيرتها أو كتاباتها.

قدس ... كما عرفناه!

نبيل زارع

سأتحدث عن الأستاذ محمد علي قدس من الجانب العملي، ذلك الذي استطاع أن يمزج في شخصيته بين الأدب والإدارة؛ فكما ارتبط اسمه بالكيان من خلال مواقع متعددة في جدة وتقلّ معه حيثما كان، ارتبط الكيان به أيضاً، حتى أصبح عَلَمًا معروفاً.

وحيثما كان يظهر في صفحات الصحف منذ نشأة النادي، عُدَّ المرجع الأوحد لمسيرته، وقد رافق رؤساءه من الأساتذة الكبار، منذ أيام الأستاذ محمد حسن عواد، وهو في مقتبل العمر، سكرتيراً وأميناً للسر، وداعماً للمواهب ذكوراً وإناثاً، معيناً ومرشداً وموجهاً لهم، صادقاً في نصائحه، مرحباً بكل من يطرق أبواب النادي.

كان مشتغلاً بالحماس والعطاء، محباً للكيان، يترقّب الجميع ظهوره في الصحف؛ لما تحمله إطلالته من بشائر بأنشطة النادي وفعالياته، رغبةً منهم في الحضور والمشاركة والاستمتاع. وحتى حين كانت الفعاليات تُقام في الفنادق، وتحديداً في فندق العطاس، كان يستعد بالتجهيز والتحضير والترتيب لاستقبال الضيوف، مرحباً بابتسامة خاصة، فلا يُرى إلا بشوشاً مع كل زائر.

وحتى عندما يتلقى اتصالاً عبر الهاتف الثابت، تشعر وكأنه يتحدث مبتسماً؛ فلم يسبق أن دخل مثقف إلى النادي فرآه متدمراً أو منزعجاً. وإضافة إلى وجوده اليومي في مكتبه في غير أيام الفعاليات، كان ترحيبه واحتضانه للزوار باعثاً على البهجة.

ومما يميّزه أيضاً أنه، على الرغم من اختلاف الإدارات، لم ينقطع عن النادي، بل ظل حاضراً فيه بوصفه زائداً للمثقف الأديب. ولم يُعرف عنه أنه هاجم أو أساء لمن جاء بعده أو تولّى منصبه، رغم أنه كان بإمكانه بسهولة أن يتحدث للصحافة ويكشف الأسرار أو يوجّه النقد؛ إلا أن النادي بالنسبة له كان جزءاً منه، وملكاً للجميع.

ورغم تعاقب الإدارات، لم يستغن أحد عن وجوده أو رأيه أو مقترحاته وخبرته. كما أن جهوده المعروفة في الاستعداد للملتقى النص، منذ انطلاقة في فندق الكعكي، كانت شعلة مضيئة، حريصة على أن يظهر الملتقى بأفضل صورة.

ولذلك أحسنت جمعية أدبي جدة حين أكدت ريادته، وأرّخت مسيرته بتكريمه في محفل ثقافي، امتد لأكثر من ربع قرن، تأكيداً على أن الثقافة لا تخذل ولا تنسى من خدمها، خاصة حين يتعلق الأمر بشخصية أدبية إعلامية، لا يمكن أن يُذكر اسم النادي دون أن يقترن باسم الأستاذ الوالد القدير محمد علي قدس.

قدس... الأديب الذي أنصت للمواهب فأسمعها الوطن

بخيت طالع الزهراني

في المشهد الثقافي السعودي الحديث يبرز اسم «محمد علي قدس» كواحد من أبرز رواد السرد والقصة في المملكة، وقد استحقَّ عن جدارة الاعتراف الرسمي بشخصه إبداعاً وعطاءً حين اختارته جمعية أدبي جدة شخصيةً لملتقى قراءة النص 22 لعام 2026، تقديرًا لمسيرته الطويلة وإسهاماته المتعددة في إثراء الأدب السعودي وتعزيز نقاشاته النقدية والإبداعية.

لقد كانت تجربة محمد علي قدس الأدبية متشعبة ومتنوعة؛ فهو قاصٌّ نشطٌ في الحقل السردي، صاحب رؤية تعكس فهمًا عميقًا للنصِّ وللتجربة الإنسانية، وقد جعل من القصة وسيلة للتعبير عن التحولات الثقافية والاجتماعية في المملكة، مع اهتمام واضح بتجارب السرد المحلية وتطورها في سياق أدبي عام. اختياره شخصيةً للملتقى يعكس الدور البارز الذي لعبه في نشر الثقافة وتوسيع دائرة الحوار الأدبي داخل المملكة وخارجها.

على صعيد الحياة المهنية والثقافية، شغل قدس منصب أمين سر نادي جدة الأدبي لسنوات طويلة (من 1982 حتى 2006)، وهي فترة حاسمة في تاريخ النادي الذي يعدُّ من أقدم وأهم المنابر الثقافية في السعودية.

خلال هذه الفترة، كان قدس أحد أركان الحركة الأدبية في جدة، حيث ساهم في تنظيم الفعاليات، وتوثيق النشاطات، واستقبال المثقفين، كما ساهم في تعريف المجتمع بدور الأدب والنقد في الحياة الثقافية.

ولا يقتصر عطاءه على الدور الإداري فقط، بل إن محمد علي قدس شارك في إنتاج برامج إذاعية وتلفزيونية ثقافية، مثل «قصة من الأدب السعودي» و«تمررة وجمرة»، التي ساهمت في تقريب الأدب السعودي من شرائح أوسع من الجمهور، وربط المتلقي بنتائج الأدباء المحليين.

كان محمد علي قدس مؤمناً بأن الأدب رسالة تربية قبل أن يكون مجرد كتابة، لذلك منح جانب الإلهام الإنساني أولوية واضحة في مسيرته. احتضن المواهب الشابة بروح الأب الثقافى، يقرأ نصوصهم بعين الناقد الحصيف وقلب المعلم الحريص. لم يكتف بالتشجيع العابر، بل قدم التوجيه العملي، وفتح لهم أبواب النشر والمشاركة في الفعاليات. كثير من الأسماء التي حضرت لاحقاً في المشهد السردى السعودى كانت بداياتها على يديه. كان يرى في كل موهبة مشروع كاتب، وفي كل نص بذرة تستحق الرعاية والصبر. أما حضوره الإذاعى فكان امتداداً لدوره التنويرى، إذ أسهم في إعداد وتقديم برامج ثقافية عرّفت الجمهور بالأدب السعودى. ومن خلال الأثير، وصل صوته الهادئ إلى البيوت، حاملاً الثقافة بأسلوب مبسّط يمزج المتعة بالمعرفة.

كما كانت مشاركته في فعاليات نادي جدة الأدبى مستمرة حتى بعد فترة أمانته، إذ عاد لعضوية مجلس إدارة جمعية أدبى جدة، مما يدل

على استمراره في دعم المشهد الثقافي وعدم انقطاعه عن الحياة العامة للحراك الأدبي.

إن الدور الذي لعبه قدس في النادي الأدبي كان وما يزال ذا بُعد مؤسسي واضح، فقد كان من الشهود الأوائل على التحولات التي مرّت بها هذه المؤسسة الثقافية، ومنها تأسيس (ملتقى قراءة النص) الذي أصبح حدثاً سنوياً للجلسات النقدية والنقاشات الفكرية. وقد عبر في حواراته عن أهمية النادي كمكان للحوار والتلاقح بين الأجيال الأدبية، وكيف ساهم في احتضان التيارات الفكرية المختلفة على مدى عقود.

باختصار، يمكن القول إن محمد علي قدس لم يكن مجرد اسم في الساحة الأدبية، بل كان جسراً بين التجربة والسرد، بين الأجيال وذاتقة القراءة، وبين المؤسسات الثقافية وجمهورها. لقد أسهم بفاعلية في تعزيز حضور القصة السعودية في المشهد الأدبي، وترسيخ مكانة نادي جدة الأدبي كمنصة للحوار والإبداع، مما يجعله بحق رمزاً من رموز الأدب السعودي الحديث.

قدس... مرجع لتاريخ نادي جدة الأدبي

خير الله زربان

استحق الأستاذ محمد علي قُدس بكل جدارة بان يكون الشخصيةً المكرمة في ملتقى قراءة النصّ في دورته الـ(22) نظراً لإسهاماته في مجال القصة والسرد وكذلك ما قدمه لنادي جدة الأدبي خلال السنوات الماضية ولا زال يخدم من خلال تواجدته في عضوية مجلس الإدارة حيث يعتبر مرجع هام لتاريخ نادي جدة الأدبي وكل الأندية الأدبية،

عمل قدس أمين سرّ النادي الأدبي الثقافى، لربع قرن تقلد خلالها العديد من المهمات الصعبة ومن أهمها مستشار ثقافى وإعلامى وأميناً لجائزة محمد حسن عواد للإبداع لثلاث دورات،

ولم يمنعه اشتغاله الإداري عن الإبداع بل أصبح قلمه سيّلاً في عالم السرد والقصة والدراما والمقالة، فعلى مستوى القصة قدم للساحة عدّة مجموعات منها: (نقطة الضعف)، و(مواسم الشمس المقبلة)، و(ظماً الجذور)، و(النزوع إلى وطن قديم)، و(هموم صغيرة)، و(ما جاء في خبر سالم).. وترجمت بعض قصصه للإنجليزية ضمن نماذج من القصة السعودية والخليجية.

أما في مجال المقالات فله: (ومضات في الفكر)، و(المعاصرة والكلمات)، و(حوار الأسئلة الشائكة)، و(وحي الرسالة).. كما تنوعت

كتابته في مجال التوثيق فكتب: (مسيرة الأندية الأدبية / ربع قرن من العطاء الثقافي جدة)، و(العواد رائد التجديد)، و(في أروقة الثقافة / سيرة ومسيرة)، و(في صحبة عبقري حالم / أيام مع العواد).. وله تحت الطبع حالياً: (أسماء في الذاكرة / شخصيات أدبية مؤثرة)، و(المسرح العالمي / نصوص خالدة) وهو عبارة عن نصوص إذاعية من أدب المسرح العالمي.. وعلى المستوى الإعلامي فقد ظل «قدس» متعاوناً مع إذاعة جدة منذ عام 1975م حتى تشكيل هيئة الإذاعة والتلفزيون، وقدّم خلال هذه المدة عطاءً وافراً تمثل في برامج إذاعية ودرامية إذاعية وتلفزيونية موجودة وموثقة في مكتبة إذاعة جدة منها: (قصص من الأدب السعودي)، (المجالس الثقافية)، (في ذاكرة الوطن) و(المسرح العالمي). وله في أرشيف مكتبة الإذاعة والتلفزيون أكثر من (40) عملاً منتجاً بين درامي وثقافي ووثائقي.

إن مسيرة «قدس» تكشف عن مقدار البذل والعطاء الذي قدمه للساحة، في كافة المناصب التي تقلدها، أو العضويات التي كسبها محلياً وعربياً، فهو عضو مؤسس بنادي جدة الأدبي، وعضو شرف نادي مكة الثقافي، كما أنه عضو نادي القصة بالقاهرة منذ عام 1982م.. وخلال مسيرته شارك في العديد من الأسابيع الثقافية السعودية بعدد من العواصم العربية مثل: القاهرة، ودمشق، والبحرين، وبيروت، والرباط، وتونس، كما مثل المملكة مع إعلاميها ومفكريها وعلمائها في احتفالات تحرير الكويت 1991م، فضلاً عن اختياره من بين أدباء ومبدعي العالم

للمشاركة في برنامج تجارب الكتاب المبدعين في جامعة "أيوا" بالولايات المتحدة عام 1995م.

حيث توجّ بالعديد من الشهادات والدروع في مناسبات التكريم المختلفة، وتم تكريمه ضمن الأدباء الذين أسهموا في تأسيس الأندية الأدبية ووضعوا بصماتهم في مسيرتها منذ تأسيسها في المملكة عام 1975م، كما كُرّم ضمن الأدباء والفنانين في مهرجان وملتقى "المبدعون العرب" في دورته الرابعة بعمان تحت رعاية الملك عبد الله الثاني كرائد من رواد الأدب العربي 2009م.

محمد علي قدس.. الذاكرة الحية للمشهد الأدبي

سلطان العيسى

في ملتقى «قراءة النص 22»، يقف الاحتفاء بالأستاذ محمد علي قدس شاهداً على مسيرة أدبية حافلة بالعطاء، وركيزة ثقافية شاركت في صياغة الذاكرة الأدبية والثقافية المحلية، فلم يكن الحرف لديه مجرد حرفة، بل أمانة صانها طوال عقود، حتى استحق بامتياز لقب «أمين السر» في قلوب الأدباء والمثقفين قبل أن يكون أمين سر مؤسسة أدبية.

يُعد قدس أحد أعمدة جيل السبعينيات الذين رسخوا فن القصة القصيرة في المملكة، لقد تميزت مجموعاته مثل «ظماً الجذور» و«ما جاء في خبر سالم» بقدرة نادرة على التقاط اللحظة الإنسانية وتصويرها بصدق فني عال، فهو لا يكتب القصة ليحكي موقفاً فحسب، بل ليغوص في أعماق النفس البشرية، ويرسم ملامح الشخصية بتفاصيلها الدقيقة وتحولاتها الاجتماعية، مما جعل نصوصه مرجعاً سردياً يجمع بين الواقعية الفنية والرؤية الاستشرافية.

لم يكن دوره في «أدبي جدة» مجرد منصب إداري؛ بل كان ذاكرة حية صانت تاريخه ورعت أجيالاً من المبدعين، فتجلت شخصية قدس من خلال التوازن والحكمة والقدرة على لم شمل الأطياف الثقافية المختلفة، مؤثراً العمل الدؤوب في صمت، ليكون المحرك الحقيقي خلف كواليس المشهد الأدبي لعقود.

كذلك يمتد أثره الإبداعي إلى ميكروفون الإذاعة منذ عام 1395هـ؛ حيث نجح عبر برامج أيقونية مثل «قصة من الأدب السعودي» و«تمرة وجمرة» في تحويل السرد من ورق صامت إلى دراما حية تنبض بالحياة، فاستطاع ببراعة المبدع أن يقرب الأدب المحلي من وجدان الناس، موظفًا مهاراته في صياغة الحوار وتعميق الصراع الدرامي، ليكون سفيرًا مخلصًا للهوية الوطنية.

وعندما نتأمل المنجز الثقافي لمحمد علي قدس فإننا لا نقف أمام سرد عابر، بل أمام مشروع توثيق وجداني للمكان والإنسان؛ فقد استطاع من خلال وعيه الحاد بإيكولوجيا المكان أن يحول تفاصيل الحياة اليومية إلى مادة أدبية خصبة، تتجاوز حدود الوصف الجغرافي لتستقر في فضاء الذاكرة الجمعية، لقد كان قدس يؤمن أن الأديب هو أحد وجوه الضمير الإنساني، لذا جاءت كتاباته مرآة عاكسة للتحويلات الاجتماعية الكبرى التي شهدتها المملكة، موثقًا برؤية وبراعة القاص تلك المسافة الفاصلة بين الجذور الممتدة في عمق التراث، وبين التطلع نحو مرافق الحداثة.

هذا الوعي المتفرد بالهوية الثقافية لم ينفصل يومًا عن دوره كمؤسس، فقد كان حلقة الوصل المتينة بين الأجيال، مؤمنًا بأن النص الأدبي لا يعيش في عزلة، بل يتنفس من خلال التفاعل والمكاشفة، فكان أثره في أمسيات «أدبي جدة» ومنصاته يمثل حجر الزاوية في ترسيخ مفاهيم السرد الرصين، فكان يحتفي بالإبداع الحقيقي أينما وجد، لذلك فإن قدرته على المزاجية بين الصرامة الإدارية وبين رهافة الحس الإبداعي، جعلت

منه أنموذجاً للمثقف العضوي الذي لا يكتفي بالنظر من برجه العاجي، بل ينخرط في تفاصيل العمل الثقافى الميداني، صانعاً حواراً دائماً بين المبدع والمتلقي، ومحولاً المؤسسة الأدبية إلى بيت حقيقي لكل أديب، لتظل تجربته مرجعاً ملهماً في كيفية إدارة الإبداع بقلب المحب، وعقل الحكيم.

ولا يمكن استحضار مسيرة قدس دون الالتفات إلى دور المحفز والراعي الذي لعبه في تمكين الأقلام الشابة، فكان بمثابة الموجه الذي يمنح الثقة قبل النقد، والمؤمن بأن استمرارية المشهد الثقافى السعودي تكمن في تلاحق الأجيال وتكامل رؤاها.. لقد استطاع من خلال إشرافه وإسهاماته تحويل العمل الأدبي من طابعه الرسمي الجاد إلى فضاء إنساني رحب، يتسع لكل التجارب السردية الناشئة، فكان هذا الانفتاح الواعي محط احترام وتقدير المبدعين من مختلف التيارات، ليظل حضوره في ذاكرة الأدب السعودي يتجاوز حدود الزمن والمكان، بوصفه أحد المرجعيات التي تمنح المشهد الأدبي توازنه وتؤكد على أصالة المنجز السردى السعودي.

إننا اليوم لا نكرم قاصاً وإدارياً فحسب، بل نكرم قيمة إبداعية آمنت بالأديب السعودي، وكرّست حياتها لخدمة الأدب والثقافة بوفاء منقطع النظير، سيظل محمد علي قدس رمزاً أدبياً، ونبراساً للأجيال القادمة في كيفية المزاجية بين الإبداع الفنى والإخلاص المؤسسى.

محمد علي قدس.. سادن الحكاية وضمير السرد السعودي

مصلح بن بركات المالكي

حين يُذكر السرد السعودي في طوره التأسيسي والنهضوي، يتقدّم اسم الأستاذ محمد علي قدس بوصفه واحداً من الأصوات التي منحت القصة القصيرة في المملكة روحها الإنسانية وملامحها المحلية الأصيلة. لم يكن قدس مجرد كاتب يسرد الوقائع، بل كان منشغلاً بتشكيل الوعي، وبنحت اللغة لتكون مرآة لقلق الإنسان وتحولاته، في زمن كانت فيه الكتابة السردية تبحث عن هويتها بين الأصالة والتجريب.

انطلق محمد علي قدس من بيئة حافلة بالتحوّلات الاجتماعية والثقافية، فالتقط تفاصيل الحياة اليومية بعين الراصد المتأمل، لا بعين العابر المستعجل. في نصوصه نلمح الإنسان البسيط، والمدينة التي تكبر على مهل، والأسئلة التي تتسلل إلى الروح في لحظات الصمت. كان يميل إلى الاقتصاد اللغوي، وإلى تكثيف الدلالة، مؤمناً أن القصة القصيرة ومضةٌ معنى لا استطرادٌ حكاية. لذلك جاءت أعماله مشبعةً بالرمز، مشدودةً إلى الداخل، حيث النفس البشرية هي الميدان الأوسع للسرد.

أسهم قدس في ترسيخ فن القصة القصيرة في المملكة في مرحلة مبكرة، حين كانت المنابر الثقافية محدودة، والنشر مغامرةً محفوفةً بالتحديات. ومع ذلك، ظلّ وفياً للكتابة، يطور أدواته، ويشارك في

الحراك الثقافي عبر المقالة والندوة واللقاء، فكان صوته جزءاً من نسيج أوسع أسهم في بلورة المشهد الأدبي السعودي. لقد أدرك أن الأدب ليس ترفاً لغوياً، بل مسؤولية أخلاقية وثقافية، وأن القاص الحقيقي هو من يمنح القارئ مرآة يرى فيها ذاته ومجتمعه.

ومن أبرز ما يميز تجربته قدرته على الموازنة بين المحلية والإنسانية؛ فشخصياته تنتمي إلى بيئتها بوضوح، لكنها في الوقت ذاته تعكس هموماً إنسانية مشتركة: الخوف، الأمل، الفقد، والبحث عن المعنى. تلك الثنائية منحت نصوصه قدرة على البقاء، وجعلت أثره ممتداً في ذاكرة السرد السعودي.

كما كان لجهوده في دعم الحركة الأدبية أثرٌ ملموس، سواء عبر تشجيع الأصوات الشابة، أو المشاركة في الفعاليات الثقافية، أو الإسهام في إثراء الحوار حول القصة وتقنياتها. لقد مثل جسراً بين جيل الريادة وجيل التجديد، حاملاً همّ التطوير دون قطيعة مع الجذور.

إن الحديث عن محمد علي قدس ليس حديثاً عن كاتب فحسب، بل عن مرحلة من الوعي الثقافي في المملكة؛ مرحلة كان فيها السرد يبحث عن صوته، فكان هو أحد الذين منحوه نبرته الخاصة. بقيت قصصه شاهدةً على حساسيته الفنية، وعلى إيمانه بأن الكلمة قادرةٌ على أن تُصلح، وأن تُتير، وأن تُخلد أثر الإنسان في الذاكرة.

وهكذا، يظل محمد علي قدس سادن الحكاية وضمير السرد، اسماً لا يُقرأ في سياق التوثيق فقط، بل في سياق التأثير العميق الذي يتركه الأدب حين يلتقي بالصدق، وتصافح اللغة ضمير صاحبها.

محمد علي قدس صوت المكان وشاهد البدايات

مشعل الحارثي

يأتي الكاتب الصحفي والقصصي محمد علي قدس كالوجد المتأجج في تلافيف المراحل وانثيالات المعاني، وكأحد الرموز المبدعة والأصوات السردية التي تخمرت تجربتها ضمن أبناء جيله، وكأنما القدر قد اختصه من دون أكثر الكتاب بأن يستمد أهميته من أهمية المرحلة التي بدأ فيها (أواخر السبعينات ومطلع الثمانينات الميلادية)، وحين كانت الساحة الثقافية حوله تتلاحم وترتقي رويدا رويدا وخلقت له عيناً ثالثة استشراف من خلالها مستقبله الابداعي خاصة وهو أحد شهود المسيرة الثقافية في مدينة جدة وممن واكبوا البدايات الأولى لولادة نادي جدة الأدبي الثقافى من خلال عمله كسكرتير لرئيسه الأول آنذاك الرائد الأدبي محمد حسن عواد ومن تلاه من الرواد الأوائل الذين كان قريباً منهم وامضى معهم اكثر من (30) عاماً كأمين سر للنادي، كما أثبت ذلك في كتابه (أيامى مع العواد) والذي وصفه بأنه: يمثل انطباعات شاهد سجل مواقفه وصوره بعين شاهد عاش وسمع، وكشاهد على الحراك الثقافى ولذلك فهي تكتسب أهمية خاصة لتوثيق التاريخ ولتروى للأجيال.

ولذلك فالأستاذ محمد علي قدس يعد أحد الذين ساهموا في صناعة المشهد الثقافى المحلى الذي امتاز بنوعية الأعمال التي اهتمت بتناول

قضايا المجتمع والإنسان بكل حمولاته، وأخلصوا للساحة الثقافية وسطروا منجزها الإبداعي، وممن تعايشوا مع همومها حافظين لها قيمها واقفين على كل إفرازاتها وتحولاتها.

لقد أمضى الأديب والقاص محمد علي قدس قرابة (60) عاماً وهو يجتاز مساراً قصصياً مميزاً ويختط لنفسه طريقاً مغايراً في مشهدنا القصصي، وسار بخطى حثيثة ودأب متواصل في عالم القصص الممتع والمثير منذ أن كان ذلك التلميذ المجتهد في محراب الدرس عبر مراحلها المختلفة متأثراً بقراءاته المختلفة لكبار رواد الأدب الروائي والقصصي في عالمنا العربي كنقيب محفوظ وتوفيق الحكيم ويوسف السباعي والطيب صالح، وجمال الغيطاني، والبياتي وغيرهم وعلى النطاق المحلي الأستاذ أحمد السباعي أحد رواد القصة السعودية الأوائل وشكلت تلك القراءات مفتاحه الكبير لولوج عالم الكتابة والقصص، منذ أول مقال نشر له بجريدة المدينة، وأول قصة كتبها ونشرت بمجلة الإذاعة، حيث رسم لوحات للواقع الجداوي خاصة والحجازي بصفة عامة وأخذ هذا العطاء والدفق الإبداعي يتنامى ليكتب لنا القصة القصيرة المكتملة بكل ما تحمله من جمالية النص والدلالات المشبعة بطقوس الحياة المجتمعية وقصة المكان وتناغم الزمان وبأسلوب فكري إبداعي وتوغل وجودي.

أما بالنسبة إليه ككاتب فلم يغب قلمه عن القضايا العامة، وقضايا مجتمعه على وجه الخصوص، ولكن في إطار رؤيته الخاصة، المبنية من قلقه الروحي وحسه الاجتماعي، حيث نجح ما بين عمل قصصي وآخر

في تطوير أسلوبه وأدواته، مما حقق له شخصية وهوية خاصة، وقف من خلالها على أرض (محلّية) حققت له الريادة وأصالة التكوين الشمولي، ووضعتة في الصف المتميز من كتاب القصة منذ مجموعته القصصية الأولى (نقطة ضعف)

وكان تعاونه مع الإذاعة منذ عام 1395هـ تعاون مثمر وفاعل من خلال توليه إعداد بعض البرامج الثقافية والأدبية والتمثيلية الإذاعية ومن ضمنها برنامج الشهير (قصة من الأدب السعودي) والذي كان يحظى بإعجاب ومتابعة كبيرة من المستمعين حيث يقوم في هذا البرنامج بتحويل بعض النصوص القصصية إلى نص درامي تمثيلي، وبعد ذلك يقوم بإلقاء الضوء على كاتب النص وتقنياته الكتابية الفنية من خلال رؤية نقدية متمكنة.

ولقد انعكس عمله بالإذاعة والكتابة الدرامية على بعض نصوصه من خلال صناعة حوارات من داخل النص وتحويل نصوصه إلى سيناريوهات درامية مدهشة وقابلة للتمثيل، وهو ما مكنه أيضاً من وضع صور درامية معاصرة للناس تحمل معادلها الموضوعي وتضعنا في نفس الوقت على تماس مع أزمات الإنسان المعاصر ومعاناته في كل مكان.

ولأن الأستاذ محمد علي قدس يكتب بلغة الصفو الجميل ويتميز باستخدام لغة مكثفة وبراعة لفظية وبأسلوب فني يتداخل فيه الرمز مع الواقع ويجمل قصيرة محددة توحى بحالة شعورية كاملة، ومن خلال العناوين اللافتة في مسيرته الإبداعية حققت له الريادة ووضعتة

في الصف المتميز لكتاب القصة، وشهدت له بالمهارة في بناء قصصي جديد، وكان أولها مجموعته القصصية نقطة ضعف - ثم مواسم الشمس المقبلة- والنزوع الى وطني القديم - وهموم صغيرة - وما جاء في خبر سالم - وظماً الجذور والتي تحدث عنها النقاد فأوجزوا وأفادوا.

فهذا الناقد الراحل الدكتور سعيد السريحي يقول عنه: الأستاذ القدس استطاع استثمار عنصري الزمان والمكان أفضل استثمار ليس بجعلهما خلفية للقصة، وإنما بمنحهما وجوداً كاملاً داخلها.

وقال عنه الدكتور عثمان الصيني: أفلح القدس في جعل المحاور للبطل صوتاً أبدياً يضع البطل النموذج موضوعاً للتهمة والسؤال حيث يتجسد السؤال ذاتاً واعية تصرخ.

وقال عنه الناقد أحمد بوقري: التجربة الخاصة القصصية عند القدس إنما هي في الحقيقة خلقت عالماً مختزلاً ومستقلاً ليس إلا انعكاساً شأنها شأن واقع عيني أكثر شمولية وأكثر تنوعاً وذو أفق منفتح ببعده الأخلاقي.

وقال عنه حسين أبو زينة: محمد علي قدس، صادق مع نفسه، لا يلجأ في نصوصه إلى التعمية والضبابية بل هو واضح الفكر والأسلوب الذي يتميز بالشاعرية، فتراكيه اللغوية قوية وصوره الفنية تجعلنا أمام لوحات فنية متكاملة.

وبرغم الحضور الصاخب للرواية مؤخراً وانجذاب القراء نحوها إلا أن ذلك لا يعني موت القصة القصيرة كجنس أدبي له منزلته ومكانته

في الأدب العربي بل والعالمي ، وله جمالياته وفنونه وأساليبه وقدرته على اختزال الوجوه والأماكن وتصوير ما يصبو إليه الكاتب ، بل هي أيضاً سجل للتاريخ وصورة للمجتمع الذي كتبت فيه ، وسيظل لها نجومها وروادها أمثال أستاذنا القاص محمد علي قدس الذي قطع في مضمارها شوطاً كبيراً وأثرى ساحتنا الثقافية بالكثير من ابداعاته المتميزة ، وسيبقى قامته سامقة واسماً لامعاً يتردد مع كل مقالة أو قصة يدونها في مشهدنا الأدبي والثقافي وفضانا المعرفي .

قدس : رائد من رواد قافلة الثقافة السعودية

سونيا أحمد مالكي

جاء الناقد الأستاذ محمد علي قدس إلى ميدان النقد الأدبي في المملكة العربية السعودية منذ وقت مبكر، وأصبح في غضون سنوات قليلة ناقداً أصيلاً مكتمل الأداة، واضح النهج، وقد تميز بقدرته الفائقة على تحليل النصوص الأدبية وتقديم رؤى نقدية عميقة. وليس قدس ناقداً أدبياً فقط بل أيضاً كاتباً وقاصّاً له العديد من المجموعات القصصية. وقد كرس حياته المهنية في خدمة القطاع الثقافي في الوطن من خلال انتمائه لفترة طويلة للنادي الثقافي الأدبي بجدة - الذي تم الاحتفاء بخمسينيته قبل عامين - جنباً إلى جنب مع الأساتذة عبد الفتاح أبو مدين، والأستاذ عزيز ضياء - يرحمه الله - ود. عبدالله الغزالي، ود. سعيد السريحي - يرحمه الله - وغيرهم، فكان أحد دعائم المشهد الثقافي في المملكة العربية السعودية خلال تلك الفترة الطويلة وشاهد على تميز المسيرة الثقافية في المملكة وتطورها.

وليس من قبيل المبالغة الإشادة بالدور الكبير الذي لعبه النادي الثقافي الأدبي من خلال ندواته، ومحاضراته، وإصداراته، ودورياته المتخصصة والتي تميزت بشكل خاص في عقد الثمانينيات الذي يعتبر

العقد الذهبي للنادي. إلى جانب استضافته للعديد من مشاهير الأدباء والنقاد العرب أمثال د. عبد السلام المسدي ود. حسين مؤنس ، ود. حسن ظاظا وغيرهم. وكان للأستاذ قدس دائماً تعليقاته ومدخلاته الهامة في تلك الندوات والمحاضرات. وقد شغل قدس عدة مناصب قيادية في النادي منها أمين سر النادي الأسبق، وعضو مجلس الإدارة في النادي بعد تحوله الى «جمعية» عام 2025.

ولغة قدس الذي يعتبر من رواد القصة القصيرة في المملكة هي لغة تزاوج وتوازن بين العقل والعاطفة، وبين الواقع والخيال وبين الشكل والمضمون من خلال نص أدبي يعتمد على البعد النفسي والفلسفي ويضع للإنسان قيمة كبيرة. ومن أبرز مجموعاته القصصية: نقطة ضعف، وأقبل الشتاء - الانتظار - الضجر - عندما يموت الحب - مواسم الشمس المقبلة - النزوع إلى وطنٍ قديم - هموم صغيرة - ما جاء في خبر سالم، وغيرها.

ويعبر قدس في أعماله الأدبية كما في دراساته النقدية ، عن جانب مهم في شخصيته وهو اهتمامه بمعاناة الانسان وآلامه وقضاياه، وهو يشرح هذا البعد المهم في شخصيته بقوله: «أحاول ان أعيش الحياة كما يعيشها الناس المأزومون من حولي، أحس بالأمهم، وأشعر بمعاناتهم وأعايش أزمتهم، هي حقائق تعطي النص الذي يكتبه القاص شفافيته ومصداقيته».

وقد تعرفت إلى الكاتب والناقد الكبير الأستاذ قدس عن قرب بعدما أهديته بعض كتبي عندما تفاعل معها من خلال قراءة نقدية متعمقة،

ففي قراءته لروايتي «مسفر وسارة» يقول الأستاذ محمد علي قدس تحت عنوان «الحب حينما يولد غريباً ويعود غريباً» المنشور في مجلة «اليمامة» في 2024/08/08: «حقيقة تفاجئني الروائية د. سونيا أحمد مالكي بهذا العمل السردي اللافت بلغته البسيطة و موضوعه الشيق، وبشخصياته المتناغمة والمتناقضة، وأحداثه المشوقة - تبدو الرواية بقصة حب عادية ولكنها تشبه إلى حد بعيد تلك المفارقة العجيبة لرواية الطيب صالح "موسم الهجرة إلى الشمال"، في رحلة حب في الشمال نشأت بين سارة ابنة المدينة المتحضرة ومسفر البدوي ابن القرية الجنوبية المثقف،

وقد جمعتهما قاعات محاضرات الجامعة و مكتبتها الضخمة، في رواية طرزتها بخيوط إبداعية لافتة، من خلال لغة سلسة، وأفكار مضيئة، وقدرة كبيرة على تطوير لغتها السردية في فضاء من البساطة المتناهية. في هذه السطور القليلة يلخص الأستاذ قدس الرواية بكل أحداثها وتفصيلها وسردياتها من منظور واقعي دقيق في معايير وموازينه ومن خلال لغة لا تخلو من الإبداع والتفرد.

ويقول الأستاذ قدس في قراءته لمجموعتي القصصية «ظلال» عبر مقاله في مجلة «اليمامة» المنشور في 2023/03/10 تحت عنوان «في مجموعة د. سونيا مالكي القصصية «ظلال» - واقعية شفافة في رسم الأبطال وتصوير مناخ الحوار:

تفاجئ القاصة قارئها برصد حالاتها التي تتناولها في نصوصها، مرة من خلال نافذة عريضة تكشف كل التفاصيل، ومرات عديدة من خلال

فجوة أو ثقب باب، ولكنها لا تنسى كل التفاصيل بلغة هي أقرب للسرد المباشر الذي لا تتوارى فيه وراء عبارات منمقة أو مملة:

«الخريف يجئ مبكراً!! ها هي شابةٌ فتية ذات عينين واسعتين في طرفيهما حورٌ، ينسدل شعرها الأسود الفاحم على كتفيها مداعباً وجنتيها الورديتين. ثغرها مبتسم دوماً يثير قلوب أولئك المارين بالجوار من حولها من شبان العائلة، غير أنها ليست عابئةً بأي منهم».. أسلوب سهل يلامس المشاعر له معانيه البعيدة. وفي نص حوار نجدها صادقة حتى في تصورهما للحوار وما يدور في مناخه «ضغطت على شفتيها وبأنفاس متقطعة ردت عليه: أعرف الأعيبك القذرة.. أنا لست مجنونة». تركها ودخل غرفة النوم وأغلق الباب بالمفتاح لكيلا يسمع صدى صوتها ويزداد شعورا بالنكد منها، وعندها تصرخ وتصرخ كل أنثى مقهورة: (أخرج أيها الجبان الخائن).

نلمس في هذه الكلمات أهم سمة في سمات الأدب الأثوي - إن جاز التعبير - والذي يوليه قدس عناية خاصة في أعماله الأدبية والنقدية، وهي الانتصار لقضايا المرأة وحقوقها، وهو ما يتضح في أحد تصريحاته لصحيفة الرياض: «كنت وما زلت أظن ان الأقدار على كتابة النص الذي يدافع عن حقوق المرأة ويصور معاناة قهرها في مجتمعاتنا الذكورية هي المرأة ذاتها، لكنني أزعم ان الرجل حين يكون منصفاً ويعرف الكثير من أسرار معاناتها من خلال تجاربه، يكون أكثر واقعية حيادياً وشفافاً إلى حد بعيد».

يأتي إعلان مجلس إدارة جمعية أدبي جدة اختيار الأستاذ محمد علي قدس ليكون شخصية «ملتقى النص 22» لهذا العام 2026م، وتكريمه بشكل يليق بمسيرته الأدبية والإبداعية، اعترافاً بمكانته المرموقة ودوره في تميز وارتقاء الثقافة السعودية التي أصبحت ركناً أساسياً في القوة الناعمة السعودية.

مواسم محمد علي قدس المقبلة

عبدالعزیز الصقبي

كنت من ضمن القراء الذين سعدوا بالإهداء الذي تصدر مجموعته القصصية « مواسم الشمس المقبلة»، وكانت هذه المجموعة القصصية الصادرة عن مطبوعات تهامة العريقة في عام 1982م، هي الخطوة الأولى لأتعرف على الصديق محمد علي قدس، كنت في الطائف وكان في جدة ولا يزال، القصة كانت مفتاح علاقة أبدية جعلتنا نعرف بعضنا قبل أن نلتقي، ثم ليكون لي حظ حضور بعض فعاليات نادي جدة الأدبي الثقافي في مطلع الثمانينيات الميلادية لنتلقى ونستمع لبعض عبر أمسيات قصصية، كان هو أمين سر النادي.

«منتهى اللطافة والذوق»، أبسط وصف يقال عن محمد علي قدس، كان له حظ قربه من رواد الأدب في المملكة العربية السعودية، وعلي رأسهم الأديب الراحل محمد حسن عواد، الذي عمل معه وكان مخلصاً له حتى بعد وفاته، تحدث وكتب في كل المحافل والمناسبات، وكان لي حظ أن يكون إصداره الأخير عن المجلة العربية التي أزاوّل فيها مهنة إدارة التحرير، ليقدم صورة للوفاء عبر كتابه «في صحبة عبقرى حالم.. أيام مع العواد» والصادر في مارس 2025م.

سيرته الثقافية والأدبية معروفة، ولكن يضاف إلى ذلك حضوره في الإذاعة عبر البرامج الثقافية والمسلسلات التي كتبها وبثت عبر أثر

إذاعة جدة، وأعتقد أن هذا منبر مهم لإيصال الثقافة والأدب لكل مستمع للإذاعة، والأستاذ محمد علي قدس يعي ذلك، حيث كان له حظ العمل مع عدد من رواد الإذاعة والإعلام عبر أكثر من عقدين من الزمان.

ربع قرن قضاها في نادي جدة الأدبي الثقافى حسب علمي، ليغادر مع الرائد أيضاً الأديب عبد الفتاح أبو مدين، تجربة بكل تأكيد يغبطه الجميع عليها، لمشاركته في تأسيس نادي جدة الأدبي الثقافى، وعمله أميناً لسر النادي، ومن ثم مواصلته العمل الثقافى كمستشار إعلامي وثقافى وأمين عام لجائزة محمد حسن عواد للإبداع، ليشارك في منتصف التسعينيات الميلادية في تجارب الكتاب المبدعين في جامعة أيوا في الولايات المتحدة الأمريكية.

جمع محمد على قدس بين الإدارة والأدب، حيث عمل في رئاسة الطيران المدني، ولكن عمله لم يمنعه من حضوره الثقافى عبر الكتابة في الصحف والمجلات قصصاً ومقالات متنوعة، إضافة مشاركته في النادي الأدبي ومن جانب آخر حضوره الإعلامى عبر الإذاعة.

محمد علي قدس أخلص للقصة القصيرة، لم أقرأ له أي رواية، ورغم ذلك استطاع أن يقدم في قصصه المجتمع الحجازي وبيئة مكة وهو ابنها، والحياة في جدة الصخب والزحام، والعلاقات الاجتماعية الشائكة.

نحن ننتظر كل إبداع يقدمه لنا لاسيما وأن لديه التجربة الثرية، لحقبة ثقافية رصدها غالباً متابعاً منذ الستينيات الميلادية، ليكون له فعل ثقافى عبر النشر في السبعينات، ويعيش بقية المتغيرات الثقافية

والحضاریة، هو حتماً راصد حقياً مهمة، ننتظر فیها سیرته لیطلعنا علی
مواسم شمس مشرقة حققها، وعاشها، وبكل تأكيد سیتمتع الجميع عند
قراءتها، أتمنى المزيد من العطاء والإبداع للصديق العزیز محمد علی
قدس وهو یرفل بالصحة والعافیة لیسبغ علی الجميع لطفه وذوقه الرفیع.

محمد علي... القامة والقيمة

كفى عسيري

الحديث عن هذه القامة الأدبية المميزة يتطلب استدعاء تاريخه الأدبي الذي بدأ منذ عقود ، ثم يتطلب الدقة في استعراض هذا التاريخ وهذا المنجز الإبداعي بصفته رائداً من رواد الأدب في المملكة العربية السعودية ، ومن أهم الأسماء السابقة في كتابة القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية. نشر في عام 1979م مجموعته القصصية الأولى (نقطة ضعف) ، ثم توالى الأعمال القصصية.

وكتب المقالات ، كل ذلك بآتزان ونضج وهدوء يوضح اتزان ونضج وهدوء شخصه.

ثم ما سواها من العمل في خدمة الأدب والثقافة ، وإسهاماته في واحدة من أعرق المؤسسات الأدبية والثقافية في الوطن (نادي جدة الأدبي) وغيرها من الإسهامات التي حققت له الريادة والسبق في الاشتغال على الهم الثقافى أسوة بأبناء جيله ممن كان همهم الأول إيجاد حالة ثقافية دائمة ومتجددة.

وحيث إن هذا التاريخ وهذا المنجز أوسع من أن تضيق به حدود هذه المساحة ، وحيث إن قامته الأدبية الشاهقة أعلى من أي كلمات أو قراءات أو شهادات ، فستكون هذه الشهادة عن (محمد علي قدس) الإنسان.

فهو يعمل وينجز ، يتقدم ويكتب ويقرأ. ينجز العمل ثم ينصرف إلى الآخر دون ضجيج أو جلبة أو انتظار كلمات الإطراء والثناء. يحمل صفات الرجل الحجازي التي يتلخص فيها الهدوء والصمت والتواضع والبساطة ، وغير ذلك فهو بعيد عن منطقة الحرب الدائرة في الوسط الثقافى.

صديق للجميع كبيرا وصغيرا من جيله والجيل الذي عقبه ، يحضر كثيرا في منطقة السلام والحيادية بعيدا عن النزاعات والصراعات منصرفا عن إثارة الجدل ، ينأى بنفسه عن فرضيات النجاح الوهمية الناتجة عن اقتحام مناطق الصراعات الثقافية.

إن اختيار القاص / محمد علي قدس فارسا لهذه النسخة من (ملتقى قراءة النص) لهو تكريم لفن لقصة القصيرة ، وتكريم لنا نحن كتاب القصة القصيرة في الوطن العربي.

مما تعلمته من أبي

أزاد محمد علي قدس

تعجز الكلمات عن وصف الوالد حفظه الله وما له من دور وتأثير في حياتي وحياة إخوتي.

وبمناسبة تكريم الوالد الحبيب، أحببت المشاركة ببعض ما تعلمته منه:

منذ أن كنت صغيراً، كتب والدي رسالة لي، متمنياً فيها حبي للكتب بقدر حبي للتي تُركل بين الأرجل - على حد قوله - . برسالة كهذه، اكتشفت مدى تعلق الوالد بالكتب ومدى حبه لها. بدأنا أنا وإخوتي الاهتمام بالقراءة، كل بطريقته لتتشكل طرق مختلفة للبحث عن المعرفة، سواء من الكتب العلمية، الروايات أو القصص البوليسية.

من جانب آخر، تعلمت من الوالد أن التواضع ركيزة أساسية لصقل شخصية متفهمة تستطيع حتى في جدال ما، إيجاد مساحة للمرونة.

أسأل الله أن يحفظ الوالد والوالدة وأن يتم عليهما بالصحة والعافية وأن يعيننا على برهما وخدمتهما في كل وقت وحين وأن يرزقنا الله تعالى رضاهما.

